١٠٨٧
دار م. النحاس
كبير
1087
HARLEQUIN

البحث عن المتاعب

ميراندا لي

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

البحث عن المتاعب

ميراندا لي

سيرينا لم تر آرون كينغسلي منذ احدى عشر سنة، لكنها لم تنسه. عندما التقيا مجدداً، بدا واضحاً أن ما بدأ كافتتان تلميذة مدرسة قد ازهر وأصبح [illegible] اشدة ناضج. لقد كان منجذباً اليها، لكن كل ما كان يعنيه هو صداقة عابرة.

أكثر ما أغضبها هو انها اجبرت نفسها على الموافقة. وما كانت لتدير ظهرها لأية فرصة تجعلها تحقق احلامها. لكن لسوء الحظ، ان الرجل الذي يدفع دفعاً الى الزواج، لن يكون ذاك الزوج المثالي.

«أرى أنه علي أن اراقبك دائماً.»

وتابع قائلاً: «أنت عنيدة جداً.»

-نظرت إليه باحتقار، ونفت كلامه، محاولة أن تبقي صوتها هادئاً: «لا، لست كذلك.»

«لا اجرؤ على القول إنك لست كذلك، فأنت لا تعاندين، انما أنت تخططين لكل حركة تقومين بها.»

www.elmoasia.com

ميرندا لي

ترعرعت ميرندا لي في نيوساوث ويلز في اوستراليا. عملت لفترة قصيرة كعازفة الفيولونسيل في إحدى الفرق الموسيقية، ثم مبرمجة كمبيوتر. إن رحيلها إلى البلدة بعد الزواج وإنجاب أولى بناتها الثلاث، قد قلص فرص عملها إلى زوجة وأم في دوام كامل. بدأت الكتابة في العام ١٩٨٢ بتشجيع من عائلتها. فضلت القصص المثيرة وقالت إن ما يهم «هو أن كتبي تعجب وتسلي القراء، وتترك لديهم شعوراً حسناً وتفاؤلاً بالحب والزواج في عالم اليوم المقلوب رأساً على عقب.»

١٠٨٧ عبير

Abir 1087

البحث عن المتاعب

ميرندا لي

دار
م. النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.liromancia.com

الفصل الأول

عرفته سيرينا منذ اللحظة التي خطى بها إلى قاعة الطعام، فخفق قلبها بشدة للحظة قبل أن يعود لحالته الطبيعية.

آرون كينغسلي...

بعد كل هذه السنين.

كانت تتوقع أن تلتقي به يوماً ما، خاصة وأنها قد عادت إلى ساحل المتوسط كي تعيش وقد كانت غوسفورد، هي المدينة التي يقطن فيها أيضاً.

لكن هذه ليست غوسفورد، فهي الآن تبعد عدة اميال، في مطعم لنزل على خليج تورن حيث تعمل نادلة منذ عدة أشهر. اضطرارها لمقابلة آرون في مكان عملها، وفي ظل ظروف حيث لا مجال للهرب بعد سلام سريع، كان امراً مربكاً ومحيراً.

توترت عندما جال بنظراته حول الغرفة، ولحسن الحظ لم يلاحظ وجودها خلف الطاولة الكبيرة على يساره.

عرفت سيرينا، انه ما زال من المضحك أن تشعر بالأمان لأنه تأخر في الانتباه لوجودها. لا بد بعد ان يجلس ويتناول غداءه، ان تذهب اليه وتسأله ان كان يريد تناول أي شراب.

وتمنت سيرينا ألا يعرفها.

لم تكن واثقة تماماً. فهي لم تتغير، ليس في الشكل

الخارجي، فهي لا زالت تملك الطول الفارغ ذاته والمظهر الجميل منذ أن كانت في الثالثة عشرة من عمرها، نفس الشعر الأشقر الطويل، والعينين الزرقاوين كعيون الأطفال، والفم المميز كفم بريجيت باردو.

تنهدت سيرينا وبدأت تخطو وراء الحانة، لقد خفق قلبها بتوتر. لحسن الحظ، أن آرون كان قد أحضر معه صحيفة نفضها وفتحها ثم بدأ بقراءتها. وبقليل من الحظ، ربما لن يرفع نظره عندما يطلب ما يريد، ويتابع قراءة الاخبار، عندها لن يعرفها.

اتجهت سيرينا بتردد نحو آرون، الجالس هناك في بذلة رسمية، يطالع صحيفة سيدني مورننغ هيرالد وهو على وشك تناول غداء رجال اعمال ولكن بمفرده. لقد كان غريباً جداً لما تذكره عنه، للحظة، نسيت كل قلقها الكامن. وبدأت تتساءل عما اصبح عليه بعد تلك الليلة المشؤومة منذ احدى عشر عاماً.

فور وقوع بصرها عليه، خطر لها جواب واضح. ما زال وسيماً كما كان دائماً، ولا يبدو أن شعره البني الكثيف الذي يكسو كل فروة رأسه قد تساقطت منه شعرة واحدة.

لم يكن متقدماً في السن. هو فقط... ماذا؟ هي ايضاً قد اتمت الثامنة والعشرين الشهر الماضي. وقد كان يكبرها بخمس سنوات في المدرسة. مما يعني أنه في الثالثة والثلاثين الآن. لا، ربما اربعة وثلاثين. فقد كانت صغيرة بالنسبة لصفها. كانت في الثانية عشرة فقط عندما دخلت المدرسة الثانوية، وفي العام نفسه تخرج آرون.

كانت سيرينا اكثر تلميذة تحطمت بسببه طوال ذلك العام.

لم يكن شيئاً غير عادي. هكذا كانت معظم الفتيات الأخريات. كان آرون قائداً للمدرسة، كان قائداً لفرق كرة القدم والعاب الكريكيت، قائداً لفريق المناقشة، رئيساً لمجلس المدرسة، بالاضافة إلى انه بطل رياضي وحامل لقب الضابط العام للمركز الاوسترالي للإنقاذ. كل هذا، بالإضافة إلى لياقته البدنية وعينيه الزرقاوتين المثيرتين، جعله هدفاً لكل فتاة من حوله.

لكنه لم يلتفت إلا لناومي، صديقته، في صفه، السمراء الفائقة الجمال. لقد كانا ثنائياً منذ أن كانا في السادسة عشرة، كل واحد منهما مجنون بحب الآخر بشكل ظاهر. لقد كان متوقعاً حصول الزفاف بعد تخرج آرون بفترة قصيرة. لكن العاشقين الصغيرين فاجآ الجميع بالإنتظار عاماً ثانياً قبل عقد القران.

في السنوات القليلة التي تلت، أصبح آرون ذا منزلة رفيعة في ذلك الوسط، محلياً وشعبياً، ربح الكثير من مباريات انقاذ الحياة. كان يدعى الرجل الحديدي، كان من الطبيعي أن تبدو المباريات التي نافس فيها شاقة جداً. فلقد تضمنت احياناً السباحة لأميال عدة داخل المحيط، التجذيف والركض على الشاطىء.

تابعت سيرينا سيرة اعماله باهتمام بالغ، قصت كل الصور والمقالات عنه واحتفظت بها في درجها السفلي، بعيداً عن مرأى والدها. لكن بعدما تركت سيرينا البيت، اختفى اسمه عن صفحات الرياضة. سألت والدتها عنه منذ حوالي سنة، لكنها لم تحصل على جواب، سوى أنه يعمل في مكان ما في سيدني.

تساءلت مرة ثانية، مثل ماذا؟

فيما هي تدنو من المائدة أجابها صوت المنطق بأن هناك طريقة واحدة لتعرف.

لكن الارتباك كان اقوى من الفضول، والأولوية بالنسبة إليها أن تبقى مجهولة.

سألته بلطف آملة أن لا ينظر إليها: «هل تريد أن تشرب شيئاً من الحانة، يا سيدي؟»

لكنه رفع عينيه، حدق في وجهها، وعرفها. أجابها: «حسناً... إذا لم تكوني سيرينا مارشمونت.» تحرك طاوياً صحيفته ووضعها على طرف الطاولة.

لم تستطع أن تستمر بالتحديق به عندما نظر إليها مجدداً. بدا على وجهه عن كثب علامات الإرهاق، والتعب من خلال الآثار الداكنة تحت عينيه التي تعطي انطباعاً عن حياة يائسة. مع ذلك، الغريب في الأمران هذا لم يغير من وسامته بل اضاف صورة مضللة مزعجة وجذابة في الوقت نفسه.

هتف قائلاً وكأنه غير مصدق: «لا تقولي أنك لم تعرفيني! لم أتغير إلى هذه الدرجة. وأنت لم تتغيري قط، ارى...»

ضاقت عيناه الزرقاوان الرائعتان عندما نظرتا إليها من رأسها إلى قدميها ببطء، وبإمعان ساخر. بقيت سيرينا تقول لنفسها انها في زي العمل، التنورة السوداء الرخيصة، القميص الأبيض، وربطة العنق السوداء، من دون زينة، وشعرها مشدود إلى الوراء على شكل ذيل مهر، بدت في ابسط حالاتها. وشعرت كأن آرون يخجلها بنظراته.

الغضب القديم المألوف أطبق على صدرها. لماذا، أوه،

لماذا لا يستطيع الرجال الاحساس بروحها بدلاً من النظر إلى مظهرها الخارجي؟

مهما يكن، فالإنزعاج لم يظهر على وجهها، لقد علمتها الأيام أن لا تكون ردة فعلها ظاهرة، حتى يبدو مظهرها متجاهلاً، حاجباً خوفها وألمها.

قالت بدهشة باردة: «آرون؟ رائع، أنا لم اعرفك وأنت ترتدي هذه البدلة. تبدو وكأنك على وشك الخروج من مصرف سيدني.»

عاد يضحك وكأنه قرر شيئاً ما، وقال: «معك حق بواحدة، لقد كنت هناك عندما فتح أبوابه هذا الصباح وكنت سعيداً لأنني خرجت.»

حاولت اخفاء صدمتها، إلا أنها فشلت تماماً.

أجاب ساخراً، وهو يختلس نظرة إلى الجريدة المطوية على صفحة الأعمال: «نعم، احياناً أنا نفسي لا أصدق بأنني آرون كينغسلي، محاسب الضرائب ومستشار استثمار الأموال. على الأقل، هذا ما تقوله بطاقة عملي.»

نظر الى وجهها من جديد وقال: «طريق طويل من العذاب، أليس كذلك؟ حسناً، يا سيرينا؟ أنت البصر لعيون متألمة ولطالما كنت كذلك. هل تستطيعين الجلوس والتحدث معي لبرهة؟ اخبريني ماذا فعلت بنفسك منذ...» تلعثم، لكنه تابع: «... منذ أن رأينا بعضنا لآخر مرة.»

لم يكن عند سيرينا اي شك عما خطر في ذهن آرون. صورة ساطعة لما حصل في تلك الليلة المشؤومة منذ احدى عشر عاماً.

كانت في عمر السابعة عشر من العمر في ذلك الوقت،

حمقاء، غير ناضجة. وكان آرون في بداية العشرينات، زوج سعيد وناجح كبير.

تأوهت سيرينا عندما تذكرت الأحداث المهينة في ذلك المساء.

فقطلو أن والدها لم يسمح لها تلك المرة في الذهاب إلى حفلة في المدرسة. فقطلو أن آرون لم يكن هناك، لو لم تلفت نظره إليها، محاولة جعله يلاحظها ترقص جيداً بقربه. لقد أخذت دروساً في رقص الباليه والجاز طوال حياتها، كانت راقصة ماهرة، لأن لها ليونة جعلتها قادرة على إداء أية حركة ايقاعية.

بالطبع، لم تعرف لسذاجتها انه يمكن أن يكون هناك نتائج لأعمالها الحمقاء، ذلك أنها ربما ستجذب انظار الفتيان الذين لا ترغب بهم في القاعة. إلا أن ثنائياً من الفتيان اللذين ضايقاها طويلاً في المدرسة رأياها ترقص، مما اثارت اعجابهما بشكل واضح. احتالا عليها في الذهاب إلى المخزن خلف القاعة حيث حاول احدهما مهاجمتها عندما دخل آرون فجأة وانقذها منهما.

بدأ آرون يشتمهما ويضربهما عقاباً لما فعلاه، إلى أن اصرت سيرينا على الذهاب إلى البيت وهي حزينة باكية. لقد كانت ممتنة له على مساعدته، ولن تنسى أبداً نظرة الاشمئزاز على وجهه او شعوره بأنها ملامة جزئياً على ما حصل.

لكن الأسوأ كان في انتظارها، فقد طلب والدها أن يعرف لم اتت باكراً من الحفلة، لأنه كان سيذهب لإحضارها بنفسه. ربما شعر آرون أنه سبب لها متاعباً مع والدها،

حاول تهدئة الوضع، قائلاً إنه حدثت مشكلة صغيرة مع ولدين حاولا ازعاج سيرينا مما جعله يقرر احضارها إلى البيت باكراً.

مع ذلك، لم يكن لدى آرون شيء ليقوله، يمكن أن يهدأ من غضب والدها. راح يتبجح ويهذي، قائلاً انه لم يكن يثق بها، وانها تسبب الكثير من المتاعب.

قال غاضباً: «يكتفي الشخص بالنظر إليها نظرة واحدة ليعرف أي نوع من الفتيات هي.»

أخيراً، قرر أنه يجب على الفتيات مثلها أن يحمين من أنفسهن وسيسجنها فعلاً إلى أن تنتهي امتحاناتها، أي فترة ستة أشهر. حتى أنها منعت من زيارات صديقاتها في البيت.

بدا آرون مندهشاً من تلك المشاجرة السيئة، فرحل، وهو يهز رأسه. تحطمت سيرينا كلياً، لأنها ليست كما ادعى والدها. لقد كانت خجولة، فنموها المبكر ومظهرها الملفت للأنظار سبب لها احراجاً اكثر من أي شيء آخر. كرهت طريقة نظر الرجال والفتيان إليها ولم تستلطف ابداً كلامهم المعسول، عدا ما حصل مع آرون، كان غريباً بالنسبة لتصرفها الطبيعي.

طالما الأمر متعلق بالأصدقاء الفتيان، مع أنه ليس لديها صديق، رفض والدها السماح لها بالخروج معهم الى أن تركت المدرسة. منحها فقط حق الذهاب إلى حلفة الرقص التي تقام في المدرسة. وقد جاهدت والدتها كثيراً لتحصل لها على هذا الحق. فهي مؤمنة بأن وجهة نظر زوجها صارمة ومتخلفة. السيدة مارشمونت سيدة هادئة ولطيفة

لدرجة أنها لا تقدر أن تقف بوجه أنظمة زوجها الاستبدادية والمتعجرفة.

عصر قلبها بشدة عندما تذكرت عذاب سنين مراهقتها، الشعور بالإضطراب والعذاب في تعاملها مع والدها. لم تستطع أن تفهم، لِمَ لم يكن كباقي الأباء؟ لِمَ يبدو أنه لا يحبها؟ لِمَ يجب عليه أن يصدق الكلمات السيئة التي تُقال عنها؟

ركزت نظرها من جديد على آرون وتساءلت ماذا اعتقد الآن، هل صدق رأي والدها السيء عنها. محتمل، فهو بالتأكيد نظر إليها باشمئزاز تلك الليلة.

«لقد تغيرت أشياء كثيرة منذئذٍ، ولى زمان وجاء زمان غيره، أليس كذلك؟» قال ذلك وهو يرمقها ببريق بارد ساخر في نظرته، وبنبرة قاسية في صوته. ما صدمها أنه بدا كرجل عاجز عن الشعور بالكره، وعاجز عن الشعور بأية إشارة حقيقية اطلاقاً.

أحست سيرينا برعشة تسري في جسدها.

كان آرون في الماضي ذا، شخصية دافئة، تعكس الانفتاح والاشراق، اما الآن فيبدو وجه آرون حالكاً ومتعباً. وتساءلت كيف تكيفت زوجته مع تغيره. هذا إذا... ما زالا هو وناومي زوجين.

تحول نظرها بشكل آلي إلى يده اليسرى، حيث لا زال هناك خاتم زواج عريض في اصبعه. رؤيته اعطتها شعوراً غريباً، شبه مطمئنة وشبه خائبة الأمل.

في تلك اللحظة بالتحديد عرفت سيرينا أن اعجابها بآرون عندما كانت طالبة سيتجدد بسهولة الآن. فمهما يكن،

يجب أن لا تنسى ولو للحظة، أنه متزوج، لذا قررت قطع الحوار سريعاً.

«آسفة يا آرون، أنا لا استطيع الجلوس، فذلك سيسبب لي المتاعب.»

اختلس نظرة ناحية قاعة الطعام وقال بريبة: «المكان شبه خالي.»

«أنا فقط، سأقف هنا وانتظر اوامرك.» وهي من غير قصد تعرضت لما يكفي من الفضائح اكثر مما تحب أن تتعرض.

كان وضعاً محرجاً، يجب أن تنشل نفسها منه بسرعة قدر الإمكان بدل أن تستمر واقفة هناك كالحمقاء، تحدق فيه وتجلب القلق لنفسها.

في الماضي كان آرون لا يحب ابداً أن ينظر إلى امرأة غير ناومي. فهو بالتأكيد لم ينظر إليها تلك الليلة في الحفلة.

لكن، كما قال، لقد تغيرت أشياء كثيرة منذئذٍ، ولىَ زمان وجاء زمان غيره، وآرون الذي يجلس الآن على هذه المائدة ليس هو نفسه. انتاب سيرينا شك بأن لهذا الرجل بعض النوايا للغدر بها.

هز آرون كتفيه لامبالياً: «افعلي ما يناسبك، إنما اخبريني، لم عدت إلى الساحل المتوسط؟ هل سامحك والدك اخيراً لذهابك إلى كوينزلاند بعد أن انهيت دراستك المدرسية؟ لا تُبدي الاستغراب، لقد انتشر خبر في الجوار بانك تركت منزلك وأن والدك طلب منك عدم العودة إلى بيته ثانية.»

انكمشت سيرينا، لطالما كرهت عادات القرى في كشف

الأسرار وتحريف الأمور. اخبرها اشقائها فيما بعد عن الشائعات التي دارت حولها مع الوقت، كانت الشائعات رهيبة.

الحقيقة انها كانت راحلة شمالاً في عطلتها مع بعض رفاقها بعد أن انهت امتحاناتها النهائية. كانت عازمة على العودة والدرس في الجامعة في شهر شباط (فبراير) ولكن اثناء احدى اتصالاتها إلى البيت حدث ذلك الشجار العنيف مع والدها. فقد اكتشف وجود شابين في رحلتها. هذا ما حاولت هي ووالدتها جاهدتان على عدم اخباره به.

لأول مرة، وقفت امامه تناقشه، اخبرته بأنها فتاة شريفة، وأنه في النهاية سيجعلها ترحل من البيت بسبب اتهاماته البغيضة. شعوره بالانتقام لتجرؤها على قول ذلك دفعه لأن يقول لها ان لا تزعج نفسها وتعود إلى البيت، وأن تبقى في كوينزلاند وتجد لنفسها عملاً هناك. ولم يكن يعتزم تزويد فتاة عديمة الاخلاق بالمصروف.

نفذ كلامه، ولولا الدعم من اصدقائها في كوينزلاند لما بقيت على قيد الحياة. وهكذا تلاشت أية فرصة للحصول على مهنة جيدة. وتوجب عليها تأدية وظائف مهنية لا تجني منها الكثير. حاولت تحسين دخلها، بالطبع، واخيراً نجحت في الحصول على وظيفة ذات راتب أفضل، إلا أنه كان في أي وقت يوجد رجل يزعجها بالتحرش بها مما يفسد الأمور امامها إلى أن ترحل إلى وظيفة اخرى، أو احياناً إلى مدينة اخرى.

أصبحت الحياة صعبة بالنسبة لسيرينا، صعبة جداً. فقد اشتاقت كثيراً لوالدتها. افتقدت لأن تكون بين افراد أسرة. فهي دائماً تشتاق لشقيقيها الكبيرين، اللذين لم تكن يوماً

قريبة منهما. على الأقل والدها لم يوقف رسائل والدتها لها، فهي قد ادخرت رسائلها طوال سنوات الوحدة تلك. وكانت دهشتها الكبرى عندما سمح لوالدتها بعد مضي عدة سنوات أن تدعوها لحضور احد الاعياد في البيت، ومن ثم كل عيد بعد ذلك.

مع ذلك، لم يكلمها والدها بتاتاً خلال هذه الزيارات. استطاعت وبالصدفة أن تلحظه ينظر إليها وعلى وجهه نظرة ألم، وعندما تلتفت إليه يرجع رأسه إلى الوراء. الفكرة التي لطالما عذبتها هي انهما لم يتصالحا بكل معنى الكلمة.

اخبرته بعنف: «توفي والدي مع بداية العام، لهذا رجعت إلى البيت. لسوء الحظ أن والدتي ايضاً توفيت... بعد عدة شهور من الصدمة.» سكتت، وهي تبتلع غصة تصيبها كلما تذركت والدتها. الوقت الذي جمعهما كان قصيراً جداً.

«لقد فهمت...» بدا آرون متعاطفاً للحظة، مما هدأ من خوفها، لم يعد حساساً على الإطلاق. أكمل بلطف: «أنا آسف، لم اعرف. لكن ماذا عنك، يا سيرينا؟ حتماً فتاة مثلك تكون قد تزوجت حتى الآن؟»

كان سؤالاً منطقياً. لكنها وجدت نفسها تقاوم كدراً من قوله، فتاة مثلك، كانت عبارة غالباً ما يستعملها والدها في حالة استهزاء. رجال آخرون يستعملونها ايضاً، ونادراً ما تعني شيئاً مشرفاً. نوع من النساء، برغم مظهرهن، يبدو أن لديهن مشكلة عامة ـ ليست فقط ابوية.

سيرينا دائماً لديها ردة فعل سيئة تجاه هذه العبارة. عندما كانت اصغر سناً واشد حساسية حاولت تغيير مظهرها. قصت شعرها الأشقر وصبغته مرتين. لكنها بدت

مريعة كسمراء وشعرها احمر معاً. ما زالت تعمل جاهدة حتى لا تبدو ملفتة للأنظار. لكن، كشخص ناضج مع ثقة بالنفس واحترام للذات، بنت الآن موقفاً اشد قسوة وصلابة مع الرجال.

قالت باختصار: «لا، أنا غير متزوجة. اسمع يا آرون، عليّ أن اعود إلى الحانة، هناك زبون ينتظر، هل فكرت ماذا تريد؟»

«سأشرب قليلاً من عصير البرتقال.»

«حسناً، سأعود حالاً.»

لم يكن لديها أي شك بأنه كان يراقبها في اثناء عودتها إلى الحانة.

مرت بسلام خلف الحاسبة، اختلست نظرة باتجاهه فاصطدمت نظراتهما فوراً. لم تبتسم هي، وهو لم يفعل. وبخلال ثوانٍ غضت نظرها، واحست بمرارة مزعجة في نفسها. وجدت ذلك غريباً فنظرة من آرون غير مفهومة، أعادتها إلى حالة من القلق.

بعد مرور السنين، اصبحت سيرينا مكتئبة اكثر فاكثر بخصوص فرصتها في ايجاد الرجل المناسب، الوقوع في غرامه، الزواج منه وانجاب الأطفال. حرمانها من العيش مع عائلتها جعلها تحن بعمق لأن تؤمّن الحنان لنفسها، رجل محب يمكن أن تؤلف معه عائلة.

مما جعلها سريعة التأثر ببول. المحب، الوسيم، الذي كان لطيفاً وطيباً.

كانت بعمر السادسة والعشرين وحيدة، وقد بدأت تؤمن بأنها لن تجد فارس احلامها. أحبها بول إلى حد الذهول،

وحاولت بجهد أن تبادله الحب، أن تقنع نفسها بانه الرجل المثالي للزواج.

لكن الأمر لم يكن كذلك، فهو لا يحتل شيئاً من احساسيها ومشاعرها. لم يكن الأمر بأنها لم تشعر بالسعادة، بل أسوأ من ذلك. فهي لم تكن تشعر بشيء. في النهاية، هي من قطعت روابط تلك الصداقة.

اختلست سيرينا نظرة باتجاه آرون فشعرت بالغثيان، الشيء الأكيد الذي تكوّن في ذهنها، هو أن الصداقة مع آرون لن تفيدها بشيء على الإطلاق.

ولكن همس صوت ناعم في داخلها قائلاً لها بانه لطالما كان فارس أحلامها.

حل القنوط الغاضب مكان الفرح. كيف يمكن أن يكون هو رجل احلامها؟ إنه متزوج! حتى أن التفكير به يعتبر بحثاً عن المتاعب.

الهت نفسها بتلبية طلبات الزبون، قال لها عندما ناولته الشراب: «شكراً يا عزيزتي.» ابتسمت له ابتسامة فتاة عاملة، ابتسامة لطيفة، لم يفهم التلميح وبدأ يحاول محادثتها عندما جاءت بكوب آرون. ربما توهج خديها اوحى له بفكرة خاطئة. لطالما كانت سعيدة بالسماح لنفسها بأن تأخذ لآرون شرابه، مع انها ليست مسرورة لأن تواجه الدافع الرصين في داخلها.

قالت وهي تسرع بعيداً: «اليك طلبك.»

«لا تذهبي.» كانت الكلمات عادية. ولكن عندما نظرت إليه لم تكن نظراته عادية.

«أنا...»

خفت القوة عندما رسم على شفتيه ابتسامة ساخرة: «بالتأكيد انت لا ترغبين بالعودة إلى ذلك المعجب هناك؟ تعالي. اجلسي واخبريني كل شيء عنك، أنا متأكد من انك لا تحبين المتاعب. وسأدعك تعلمين إن أتى شخص آخر.» اقترح عليها ذلك وهو يسحب لها الكرسي لتجلس إلى جانبه. لا تجلسي، هتف صوت في داخلها.

لكنها جلست.

ضعيفة، ضعيفة، ضعيفة! انبّت نفسها.

سألته، متظاهرة بعدم الاكتراث: «حسناً؟ ماذا تريد أن تعرف؟»

«كل شيء.»

«كل شيء؟»

ابتسم مجدداً وقال: «ربما ليس كل شيء. ما اريده هو أن اعرف اين تقيمين الآن، إذا ما كان لديك صديق، وإذا لا، متى تنتهين من عملك فهكذا يمكننا أن نخرج معاً.»

شعرت بالخوف لكنها قالت: «أنت لا تضيع الكثير من الوقت، أليس كذلك؟»

تحولت ابتسامته إلى ابتسامة حزينة حين قال: «الوقت لا ينتظر الانسان، يا سيرينا. علاوة على ذلك، لن احظى بالمجيء إلى هنا مرة ثانية. فأنا مسافر لتأدية عمل ما، فحياتي مليئة بالأعمال.»

«اراهن على ذلك.» قالت بحدة، غير قادرة على عدم الشعور بخيبة الأمل. ليس شعوراً ممتعاً أن يجد المرء نفسه شخصاً قوياً يهبط من مستواه. كانت الطريقة التي خفق بها قلبها لدى سماعها تصريحه اسوأ من أي شيء آخر.

تأوه: «حسناً؟»

«اسكن في بيتي القديم في غوسفورد. لا، ليس لدي صديق في هذا الوقت، ولكنك لست بحاجة لأن تعرف متى انتهي من عملي لأنني لن أخرج معك.»

نظر إليها مطوّلا ثم قال: «لم لا؟»

قالت في نفسها: «كوني صريحة، ام انك تنوين أن تضعي نفسك في الشك من جديد.»

أجابت: «أنا لا اصادق رجال متزوجين.»

ضحك، بصوت أجش، وقاسي ثم قال: «يا لأخلاقك، يا سيرينا، وكم أنا غبي حقاً. على أية حال، لم أكن اعرف بأنك لا تدرين. أنا لم اعد متزوجاً.»

قبل أن تجيب تابع كلامه: «ناومي توفيت السنة الماضية بعد معاناة قصيرة من داء السرطان.»

صدمت سيرينا. لا يمكن للانسان ان يفكر بداء السرطان خاصة تصاب به الزوجات الصغيرات.

لكن بالإضافة إلى الصدمة كان هناك تردّد، آرون... ليس متزوجاً. آرون... لم يعد صعب المنال... آرون.. صديقها القديم...

لا، يجب أن تعترف بأنه لم يعد صديقها منذ فترة قصيرة. كان مختلفاً، متغيراً. خلال اعلانه عن موت ناومي المفجع كأرمل منغص العيش، يتعامل مع العالم بكبرياء قاسي، ولد من الكآبة او ربما الفشل.

لكن هل أياً من هذه تشكل مانعاً للخروج معه؟ سيرينا لا تعتقد ذلك. ما الذي يمكن أن يريده منها غير الظاهر؟ لكن هذه المرة استهزاءه أغاظها، ربما آرون وحيد ويحتاج الى

بعض الرفقة. هذا لا يعني بأنه يتوقع أن تنتهي إلى علاقة صداقة. جميل أن تحتاج في بعض الأحيان الى شخص واحد فقط لتتحدث معه، والناس يحبون دائماً نكرى ايام الدراسة.

لم تكن لأيام سيرينا المدرسية ما يستحق الذكر، سوى مشاكلها الشخصية مع والدها، لم تكن ممتازة في دروسها بل كانت علاماتها عادية. كان والدها يقف امام روبرت وفيليب وقد اعتبرهما المثل الأعلى، وعليها أن تطمح إليه، لكن، لم تكن تملك حتى مهارات شقيقيها. بالطبع، كان والدها دائماً يعزو سبب فشلها إلى اهتمامها بزملائها. كان هناك شخصاً واحداً فقط حاز على اهتمامها في تلك الأيام وكان رجلاً لا فتى.

الذي اعادها للمشاكل من جديد سريعاً. آرون كينغسلي.

تمتمت قائلة: «لا بد وأن الأمر كان قاسياً جداً بالنسبة إليك.»

وافقها بحزن: «إنه كذلك، وعلى كريستين أيضاً.»

«كريستين؟ أوه، أجل، ابنتك. أليس لديك أطفال غيرها، يا آرون؟»

أجابها بجفاء، وقد تجهمت عيناه للحظة: «لا يا سيرينا دعينا لا نتكلم عن الأشياء المحزنة اليوم.» ثم تابع بابتسامة حزينة: «لقد قابلت اليوم صديقاً قديماً وقرّرنا الخروج لقضاء وقت جميل معاً، أليس ذلك ملائماً؟ لا تستطيعين المعارضة الآن فأنت قد عرفت أنه ليس عندي أية نوايا سيئة.»

نظرت إليه بدهشة شديدة، آه كم تغيّر فهي لم تعرفه

هكذا، لأنها فعلاً لم تعرف شيئاً من قبل. كل ما كانت تعرفه عنه، هو انه انسان مستهزء لا يهمه شيء. فقد مرت سنوات عديدة منذ أن اعتقدت أنه الرجل الأفضل. إن آرون هذا هو فعلاً غريب بعينيه السوداوين الذابلتين. من يعرف ما الذي حدث في السنوات الماضية حتى اصبح الرجل الذي هو عليه اليوم؟

لكن كل هذه المجادلة حوله، كان لا معنى لها، فهي اخيراً وافقت، وسوف تخرج معه، سواء كان لطيفاً ام سيئاً، آمناً أم خطراً.

قالت له: «لا استطيع الخروج بعد ظهر هذا اليوم، علي أن اعود إلى غوسفورد. فمنزل العائلة معروض للبيع، كما ترى، ووكيل العقار سيأتي برجل ليرى البيت هذا المساء، خاصة أن المشتري سيقطع مسافة طويلة من سيدني، وأنا لا اتصور بأنني استطيع أن اتجاهل هذا الأمر، لكن هذه الليلة ليس لدي عمل، لذا باستطاعتك...» توقفت عندما لاحظت أن آرون كان يحدق بها لتقول: «ماذا... ماذا حصل؟»

قال لها، وهو يهز رأسه: «هذا مدهش! أنت تتحدثين عني، فأنا هو المشتري.»

«أنت؟»

«نعم، أنا. على الأقل، اعتقد ذلك. فوصف البيت الذي ابحث عنه مشابه للبيت الذي اوصلتك إليه في تلك الليلة منذ عدة سنوات. طابقين ذو منظر مهيب، أليس هو، بنوافذه البيضاء؟»

بدت مذهولة: «أجل!»

«ووكيل عقارك أليس من سكان الساحل المتوسط؟»

«نعم، إنه هو. رائع، كم هذا مدهش!»

تابع بينما عاد يبتسم ابتسامة مريرة: «هو، أليس هو؟ ربما الظروف شاءت أن تجمعنا.»

جلست سيرينا وهي تشعر بالقلق إلى ما تجر نفسها إليه، وهو الخروج مع آرون. اقتنعت بأنه يعتزم إقامة صداقة ثابتة وجدية معها، كم بدا متأثراً جداً بوفاة زوجته.

اجفلت من هذه الفكرة، الأمر الذي جعلها تعود إلى صوابها وإلى عزة نفسها. ليست بحاجة لهذا، لا بل لا تحتاجه اطلاقاً. انها تعرف ما هي عليه، فهي ليست بلا اخلاق ولا تفتقر إلى احترام الذات.

قالت بصوت بارد: «آسفة يا آرون، علي أن اجري تصحيحاً بالنسبة لموعدنا. الآن تذكرت ـ فسيأتي شقيقي روبرت لمناقشة بعض المشاكل القانونية بشأن عقار والدتي، لكن في كل الحالات، بامكانك المجيء لإلقاء نظرة على البيت.»

لحسن الحظ أن وجبة آرون كانت قد وصلت في تلك اللحظة لأن سيرينا كانت واثقة من أنه سيجادلها. تبدلت ملامح وجهه عندما غيّرت رأيها وكأنه ينذر بقرار حاد لإيجاد تفسير حول ذلك بهذه الصورة غير المتوقعة. ربما كان سيقترح دعوتها إلى عشاء متأخر أو مشاهدة فيلم سينمائي، لذا قررت أن تفرض وجودها كنادلة لتجعل فرارها جيداً.

قالت وهي تدفع بالكرسي: «أراك فيما بعد يا آرون، لقد ابلغت مالك العقار بأنني سأكون هناك عند الرابعة والنصف. إذا قررت عدم الحضور فأنا سأتفهم ذلك. اتمنى لك عودة

جميلة إلى سيدني ولا تعمل كثيراً.» بعد ذلك استدارت ورجعت إلى عملها بسرعة.

كانت شبه متوقعة مجيء آرون بعد الإنتهاء من طعامه، لكنه مع ذلك لم يفعل، ما فعله كان أن رماها بنظرة محيرة بينما كان يقف ويخطو خارج قاعة الطعام، أومأ لها بمجاملة باردة عندما شكرته.

www.elromancia.com

الفصل الثاني

جاء آرون ولكن بمفرده، وذلك بعد عشر دقائق من وصولها على دراجتها النارية التي اوقفتها في مدخل المنزل.

كانت في غرفة النوم الرئيسية في الطابق الأعلى، وقد انتهت لتوها من أخذ حمامها، عندما سمعت هدير سيارة في الخارج. أسرعت نحو النافذة وراقبت بعينين متسعتين وقلب يخفق، عندما خرج آرون من سيارة بي أم زرقاء وراح يمشي في الممر نحو الباب.

كان عليها أن تسرع حافية القدمين لأن جرس الباب جعلها تركض عبر الطابق العلوي نزولاً فوق الدرج المغطى بسجاد وثير.

توقفت للحظات لتلتقط انفاسها في وسط الدرج قبل أن تتابع نزول الخطوات الأخيرة، وقد علا وجهها تعبيراً بارداً.

رن جرس الباب للمرة الثانية قبل تفتحه، قالت بصوت يحمل مزيجاً من العفوية والدهشة في الوقت نفسه. «اتيت، لكن اين السمسار؟» رفعت حاجبيها واختلست نظرة من فوق كتفيه، لتجعله يعتقد بأنها لم تعرف إلا الآن أنه جاء بمفرده.

قال لها بلطف: «لا داعي لأن ندفع له، إذا احببت البيت فبإمكاننا ان نقيم الاجراءات الخاصة دون وسطاء.»

أحست سيرينا برعشة تسري في داخلها من طريقة لفظه

لكلمة الخاصة، لكنها سرعان ما طردت افكارها من رأسها، وهي ليست سوى نتيجة لمخيلتها الواسعة.

أجابت بصوت خافت مبحوح: «ربما لن يعجبك المنزل.»

ابتسم، فأحست للمرة الثانية برجفة من شر مرتقب، فقد كان هناك شيئاً ليس مستحبا في هذه الابتسامة.

تابع: «معك حق، فهذا أمر ممكن، لكن لا أظنني سأعرف إذا كنت اريده ام لا، وأنت تتركينني اقف عند الباب.»

«أوه...» وكرهت نفسها لما شعرت به من توهج في وجهها، فمنذ سنين لم تحمر خجلاً ولكن اليوم حصل ذلك.

ثم ابتعدت لتفسح له المجال بالدخول، قائلة: «كما ترى، إنه بيت ذو تصميم واسع في الأساس. غرفة الاستقبال وغرفة الطعام الى يمينك عند المدخل، السلم الى يسارك. اوه، وخزانة تحت السلم لتخزين الأشياء.»

جالت عيناه بسرعة حول الغرف الرئيسية، ثم حوّل نظره اليها.

هذا الأمر اربك سيرينا، فأسرعت تقول: «في هذا القسم تتواجد الغرف الأقل أهمية.» ثم مشت امامه الى القسم الخلفي للبيت حيث الممر الضيق يؤدي إلى مطبخ خاص بتناول طعام العائلة ذو مساحة هائلة وسقف مشرق ينسجم مع البلاط.

لكن عندما استدرات رأت آرون قد تمهل لينظر إلى الغرفة الصغيرة التي تقع في الجهة الثانية للدرج ـ انها غرفة خاصة وملفتة للنظر ذات نوافذ كبيرة تطل على الحديقة الصغيرة.

قالت: «هذه غرفة الحياكة الخاصة بوالدتي، لقد أمضت وقتاً كبيراً فيها اكثر من أية غرفة اخرى.»

علّق آرون بالقول وهو ينظر في عينيها: «إنها غرفة عزيزة، اتفتقدينها كثيراً يا سيرينا؟»

غصت قائلة: «نعم.» وابتعدت قبل أن تخونها مشاعرها وتبدأ بذرف الدموع.

اتجهت نحو المطبخ. فلحق بها وسمعها تقول بصوت جاد: «الخزائن مصنوعة من خشب الارز الأصلي.»

قال بينما عاد ينظر اليها من جديد: «رائع.»

تجاهلت سيرينا بثبات تسارع نبضها وتحركت لتشير الى المكان الخاص بغسل الثياب وكيها بعيداً عن قاعات الاستقبال.

قالت بعد أن ألقى نظرة على غرفة الغسيل وعلى الموقف الذي يتسع لسيارتين: «هذا كل شيء بالنسبة للطابق السفلي، هل بامكاننا الآن الصعود إلى الطابق الأعلى لنلقي نظرة على باقي الغرف؟»

قال: «بالتأكيد.»

رمقته بنظرة حادة. وقد اعتقدت أنها اكتشفت نية سيئة من الكلمة التي تفوّه بها، ولكن لم يكن هناك أي تعبير لذلك على ملامح وجهه.

قالت وهي تحاول السيطرة على هدوء اعصابها: «ستلاحظ أن لون السجاد في الطابق العلوي متناسق اكثر، وسجادة كل غرفة تختلف عن الأخرى.»

نظر إلى الغرفتين الأوليتين من دون تعليق بينما هي تثرثر. أما الغرفة الثالثة فقد دفعته الى الابتسام. فسألها: «اعتقد أنها غرفتك.»

جالت بعينيها من جديد في ارجاء الغرفة ذات اللون الزهري وأغطية السرير المخرمة الجميلة والستائر

الشفافة. إنه في الواقع ذوق والدتها اكثر مما هو ذوقها فأجابته: «نعم.»

خطا آرون داخل الغرفة وحمل الصورة ذات الإطار الفضي الموضوعة على طاولة الزينة. إنها صورة التقطها مصور في احد المطاعم، هذه المناسبة الخاصة تصوّر حفلة مولد روبرت الواحد والعشرين، صورة جيدة، جمعت العائلة كلها حول مائدة الطعام، يبتسمون، يبدو والدها لطيفاً اكثر من العادة، والدتها جميلة نسبياً في ثوب اخضر باهت، روبرت وسيم وجريء في بذلة جديدة، بينما بدا فيليب ليس جريئاً جداً فوزنه زائد قليلاً بالنسبة لعمر السابعة عشر. أما هي، ففي الثالثة عشر وترتدي فستاناً زهرياً من التافتا كانت قد ارتدته لأول مرة في حفلة ذكرى مولدها.

اختلس آرون نظرة إلى عينيها. ثم سألها: «كم كان عمرك في هذه الصورة؟»

تلعثمت: «ثـ... ثلاثة عشر.»

«فقط ثلاثة عشر.» ارجع الصورة إلى مكانها ببطء واستدار ليرمقها بنظرة ذات معنى، وقال: «أنا، يا سيرينا. هل تعتقدين أنني خضت الحياة من دون مشاكل فقط لأنني ربحت تهليلاً شعبياً؟ الهتافات لا تجلب السعادة دائماً. فهي بعيدة كل البعد عنها.»

«حسناً، ليس هناك ما يدعوك للإستياء بسبب ذلك الآن. فانت تملك صورة جانبية عظيمة. كما تملك شخصيتك الخاصة بك.»

تلاشت نظرة الكآبة عن وجهه، ليحل مكانها نظرة قاسية،

تفسر تعبيراً بعدم الاكتراث، بينما شعرت في داخلها بالخوف منه.

ثم قال: «كم أنت محقة يا سيرينا، محقة جداً.»

رنين جرس الهاتف المتواصل كان امراً مرحباً به بالنسبة اليها، فاعتذرت قائلة: «لن اتأخر.» واسرعت باتجاه غرفة النوم الرئيسية حيث وضع الهاتف بجانب السرير. التقطت سماعة الهاتف، لكنها عندما التفتت دهشت لرؤية آرون يقف وراءها وقد راح ينظر إلى ناحية الحمام. رأته يحمل المنشفة المبللة التي كانت ما تزال على الأرض وعلقها على المشجب، راقبت حركاته وهو يرفع يده إلى القوارير. انتبهت في تلك الاثناء الى صوت عديم الصبر عبر اسلاك الهاتف.

«سيرينا؟ أأنت هناك؟ تباً يا سيرينا، اجيبي!»

أوه، انه روبرت...

همست وهي تحذر عدم ذكر اسمه: «نعم، هذه انا.»

أمر قائلاً: «ماذا يجري؟ هل هناك خطب ما بسلك الهاتف؟»

«لا اعتقد ذلك.»

«حسناً، ردي علي، فأنا لا استطيع سماعك. ماذا حصل مع ذلك المشتري الذي اتى البارحة؟ هل قدم عرضاً؟»

«لا لم يقدم اي عرض، فعندما وجد أن هناك اتفاقاً يمنع اقتلاع الأشجار في الحديقة الخلفية ووضع حوض مياه مكانها، رحل بسرعة دون ان يضيف شيئاً آخر.»

«تباً، لماذا وضعت والدتي هذا الشرط الغبي على المكان، لا اعرف! كان يجب أن تمنعينها يا سيرينا أنت من عاش معها دائماً.»

عارضت كلامه: «ما كنت لاحاول بتاتاً، فهذه الاشجار كانت تعني الكثير لوالدتي، هل تذكر كيف كانت تقيس نموها كل عام؟ إنها مهمة لها، يا روبرت.» تذكرت متأخرة أنها لم تكن تريد ذكر اسمه.

جادلها قائلاً: «لربما كذلك، لكن ما الذي يهم الآن، فهي رحلت، والباقي الآن ما هو سوى مجرد ذكرى.»

«العاطفة مهمة لبعض الناس.» بينت له بحرقة، ليس بالنسبة اليه بالطبع، فكل ما يهمه ويهم زوجته المبذرة، هو ان يعيشا حياة مترفة، دون التفكير ببناء حياة عائلية مستقرة.

«لا تتفوهي بمثل ذلك يا سيرينا. فأنت قاسية.»

أجابت بحدة: «اتعتقد ذلك؟ انظر، يا روبرت، يجب أن اذهب. يوجد مشتري هنا الآن، يلقي نظرة على المكان. من يدري؟ اتمنى أن يكون عندي اخبار سارة عندما اراك.»

«ترينني؟ لن تستطيعي رؤيتي. فسبب اتصالي بك هو كي اخبرك فيليب وأنا وزوجتينا قد حجزنا لعطلة العيد في رحلة بحرية، اردت ان ابلغك لتتمكني من شيء آخر لنفسك بالنسبة للعيد، تعرفين كم انك حمقاء في تمسكك بالتقاليد التافهة.»

كانت ضحكته جافة عندما تابع: «ما زلت اتذكر كيف وصلت في العيد الماضي على دراجتك المحزنة، تحملين الهدايا. في الحقيقة يا سيرينا لا اعرف ماذا تحبين بكل هذه التفاهات!»

شعرت سيرينا بأنها تريد البكاء، ليس بسبب إهانة

روبرت لها، لكن من فكرة قضاء العيد بمفردها هذه السنة غير كل السنين.

شعرت بالألم في قلبها، قالت بحدة: «هل تعتقد ذلك؟ ربما قد تكون مخطئاً، لكن لا تقلق، اذهب وتمتع بوقتك.»

مرت فترة قصيرة من الصمت، اتبعتها بتنهيدة حارة، فقال لها: «لا تكوني كذلك، أنا لا أحب أن اكون عاطفياً متشائماً. عيشي حياتك ودعيني أعيش حياتي، هل انت موافقة؟ إلى اللقاء.»

«إلى اللقاء.» كررت قوله وقطعت الخط بعنف، استدارت ببطء لتواجه آرون بوجهه المتشامخ.

قال: «افهم ان روبرت لن يأتي.»

اجابت: «لا.»

«إذن يمكنك الخروج معي؟»

«لا.» أجابت بحدة وقد انزعجت من نفسها لأنها ما زالت تتمسك بقواعد التهذيب معه.

«لم لا؟»

صارحته بقسوة: «أوه، هل عدنا إلى ذلك من جديد؟ انظر، يا آرون، حاولت أن ادع انانيتك جانباً بلطف، لكن يبدو أنك لم تفهم ذلك مني، انني أنا لا اريد الخروج معك، هل فهمت ام لا؟ والآن اخرج إلى حيث سيارتك الفخمة وعد من حيث اتيت، لأنني لا... أريد...»

لم تستطع متابعة كلامها، فالعاطفة تكاد ان تخنقها، وتحتاج إلى ذرة من طاقتها لتمنع نفسها من البكاء. فقد كانت واثقة من ان بكاءها قد يتغلب عليها.

كان الجو خانقاً في الغرفة، حدق بها آرون بذهول تام،

فكادت ان تضحك من ذلك. مسكين آرون، فكرت بجنون، هو حتماً يريد القليل من الراحة فقط، لكن ذلك النوع من الصداقات لم يكن لها ابداً، فهي تدعوها غباء، فبقدر ما كانت منجذبة له، بقدر ما كانت تريده ان يخرج الآن دون رجعة.

لكنها قالت بانكسار: «أنا آسفة، لم يكن لي حاجة لأن اكون وقحة إلى هذه الدرجة لكنني اشعر بالغضب لذا، ارجوك... اسدي لي خدمة فقط وارحل.»

قال: «أنا ايضاً آسف، لقد جعلتني اشعر بالخجل نوعاً ما.

ثم تابع اعترافه: «لقد كنت مخطئاً. فأنت لست من ذلك النوع من الفتيات اطلاقاً وبصراحة لقد جعلتني اشعر بالراحة.»

ثم امسك بيدها وقال: «كنت اريدك دائماً يا سيرينا، هل تعرفين ذلك؟ عندما رأيتك ترقصين في حفلة المدرسة صدمت بالطريقة التي اردتك فيها. جاهدت كثيراً للبقاء في تلك القاعة، ثم ذهبت بخفة وراء هذين الفتيان في ما بعد، لا، لا تذهبي!»

شدّ على يدها واضاف: «حاولت ان اجد عذراً لما فعلاه، ولما يتصرف الأخرون بمثل هذا التصرف نحوك، ولما تصرف والدك بمثل هذه الكراهية، ولما تصرفت هكذا هذا اليوم.»

«مع ذلك، فأنا سأنحني لرغباتك وسوف نعرف بعضنا أكثر في الأيام القادمة.»

حدقت في وجهه الباسم الواثق. وقد دهشت من نفسها

لما لا تجيبه بكلمة لا، فلم تكن المسألة هي توثيق معرفتهما بعضهما البعض، السؤال كان هل وقعا بحب بعضهما ام لا؟

اقترح وهو يتقدم نحو الباب: «ماذا لو ننزل إلى الأسفل لتناول القهوة. لتخبريني عن هذا الشرط الذي سمعتك تذكرينه لروبرت، لقد احببت البيت، لكن ابنتي كانت تريد دائماً حوضاً في الحديقة.»

الفصل الثالث

جلست سيرينا في سريرها تلك الليلة، مستيقظة لفترة طويلة من بعد منتصف الليل، فقد أوصلها آرون إلى البيت عند الساعة الحادية عشر بعد أن تناولا العشاء وحضرا فيلم سينمائي، وعدها عند الباب بالإتصال بها في ما بعد، ثم رحل، وهو يصفر بينما مشى في الممر نحو سيارته.

ماذا يريد منها؟ تساءلت وهي في السرير.

للحظة، في فترة بعد ظهر هذا اليوم، عندما كان يتكلم عن رغبته في الخروج معاً لأكثر من قضاء امسية، كي يعرفا بعضهما البعض اكثر، تمنت ان يكون صادقاً في قوله. إنه يبحث عن صداقة حقيقية.

لكن لن تستطيع أن تأمل بذلك بعد الآن.

آرون لم يقم بجهد كبير هذا المساء ليعرفها أكثر، كما لم يسألها عن أمور شخصية عنها، ولا هو افشى بأية معلومات عن نفسه، زواجه، ابنته ولا عن عمله. عند العشاء، دار الحديث حول الطعام، ثم في السينما كل ما تكلم بخصوصه كان عن بعض الممثلين والممثلات. ولازمها شعور بأنهما فقط ينتظران مرور الوقت، وأن آرون يلعب لعبة ذكية من الإنتظار.

هذا ما اعادها إلى صوابها، وإلى سؤالها الأساسي، ما الذي يريده منها؟

عرفت الأمر ببساطة. وشعرت بالأسى في قلبها.

تأوهت بصمت، ألا يستطيع الواقع في وقت ما ان يسمو إلى الأحلام؟ لماذا لا ينظر الرجال إلى المرأة فقط إلى نفسها، وليس إلى مظهرها الخارجي؟

كان بول هو الرجل الوحيد الذي قابلته وأحبها دائماً لنفسها فقط.

اغمضت سيرينا عينيها. لا تحب التفكير ببول، لا تحب أن تتذكر الألم في عينيه عندما قررت اخيراً أن تنهي صداقتهما. لكن، كان ذلك افضل فهي كانت ستجرحه اكثر بتظاهرها أنها تحبه وان كل شيء على ما يرام، بينهما، بينما يكون العكس في النهاية. لقد حاولت جعل الأمور أسهل بالنسبة له، حتى انها تركت عملها كمضيفة في الفندق الذي يملكه ورحلت إلى الساحل. فكيف ستبقى في تلك المدينة وترى بول يتعذب في كل مرة ينظر إليها؟

مع ذلك، لتكون صادقة، أي رجل يائس بشكل عام كما بدا آرون، لن يكون مهيئاً للوقوع في الحب بأي حال. ربما في سنة أو أكثر سيكون آرون جاهزاً للقيام بصداقة جديدة، تنتهي بالزواج. المشكلة كانت ان سيرينا أحست بأنه لن ينتظر كل هذه الفترة قبل أن يحاول التكلم معها بجدية، وساءلت نفسها بصراحة هل هي فعلاً تريده أن ينتظر؟ لقد وجدت بينما كانا في السينما، انه من المستحيل عليها التركيز على الفيلم.

شعرت بقشعريرة باردة عندما رن جرس الهاتف، رفعت السماعة وعرفت من المتكلم قبل أن تسمع صوته.

«سيرينا؟»

«نعم..» أجابت وهي ما زالت تشعر بالرجفة.

«لقد وصلت الآن إلى سيدني.»

«كيف عرفت انني لم اكن نائمة؟» حاولت أن تحمل نبرة صوتها بعضاً من العتاب لكنها فشلت.

تمتم قائلاً: «إذا كنت تشعرين بنفس الطريقة التي اشعر بها، فلا يمكن أن تكوني نائمة.»

بقيت صامتة بينما يدها ترتجف.

قال لها: «سآتي غداً بعد ان تنتهي من عملك.»

«لا، لا، أنا... أنا اعمل ليل نهار.»

قال بحدة: ليس طوال الليل.»

اسرعت تقول بخوف: «أنت تحاول دفعي مرة ثانية، يا آرون.»

«حسناً. أية ليلة لا تعملين فيها خلال الأسبوع؟ انه موعد فقط دون شروط.»

«لا أستطيع سوى يوم الأحد المقبل.» قالت ذلك بحزم تهدف في ذلك مسك زمام الأمور بنفسها.

أجاب: «علي أن اذهب لتناول العشاء عند شقيقتي مساء الأحد، إنها في الواقع تسكن قريباً منك.» التزم الصمت لبضع ثوان ثم تابع: «اسمعي، لم لا تأتين معي؟ ان ذلك يرضي شعورك باللياقة.»

وجدت دعوة آرون إلى عشاء عائلي ستمنحها بعض الاطمئنان لمخاوفها منه. لكنها شعرت بالاضطراب فجأة، فلا أحد يأخذ فتاة لتقابل عائلته إلا إذا أراد أن يقوي صداقتهما. واضح، أنها لا تثق به كثيراً، فقد كانت

من ناحية تشعر بالسعادة ومن ناحية أخرى تطلب النصح والعون.

قالت: «حسناً.» محاولة اخفاء ادراكها بانه فعلاً يريد صداقة حقيقية.

«عظيم، هل نستطيع الاتفاق على الساعة السابعة من مساء الأحد؟»

«جيد.»

نصحها بقوله: «كوني جاهزة، لا احتمل انتظار الأشخاص غير المستعدين في الوقت المحدد.»

اكدت من جديد: «سأكون مستعدة.»

نادته قبل أن يقطع الاتصال: «آرون!»

«نعم؟»

«ماذا بالنسبة للمنزل؟ هل فكرت بشأنه حتى الآن؟»

«لا. سأتحدث بذلك لاحقاً مع كريستين عندما اراها مساء الأحد.»

«لكن... الا تعيشان معاً؟»

«ليس الآن، فلقد أرسلتها إلى مدرسة داخلية وتمضي ايام عطلتها عند شقيقتي، لقد بعت بيتي، تعرفين هذا، واعيش في شقة صغيرة في المدينة بمفردي إلى أن اشتري بيتاً على ساحل المتوسط. اريد أن تحصل كريستين على شهاداتها المدرسية العالية من مدرسة محلية، حيث بامكانها الحصول على اصدقاء من نفس المنطقة. لم اكن راضٍ بفكرة المدرسة الداخلية لكن ناومي أصرت، وبعد وفاة ناومي لم اشأ أن افسد دراسة كريستين قبل ان يحين الوقت المناسب. لقد نالت للتو

الشهادة الابتدائية، وبعض الطلاب يبدلون مدارسهم في هذا الوقت.»

استغربت سيرينا مسحة العنف في صوت آرون عند حديثه عن قرار زوجته ارسال كريستين إلى مدرسة داخلية. للمرة الأولى فكرت بأن زواجهما لم يكن مثالياً ابداً. لم تعرف إن كان عليها أن تشعر بالسعادة أو بالأسى، وقد رأت ان الزواج السيء غالباً ما يبعد الأفراد عن تأسيس حياتهم.

«ربما هذا المنزل كبير جداً لك؟» قالت محاولة أن ترى إذا كان سيعترف بأنه سيتزوج يوماً ما.

«لا، أحب الغرف الكثيرة وأحببت دائماً لكريستين ان تكون قادرة على دعوة بعض أصدقاءها إلى البيت.»

أجابت: «فهمت.»

«تبدين قلقة بشأن البيع يا سيرينا، فهل تحتاجين إلى المال؟»

قالت: «روبرت وفيليب قالا انهما بحاجة اليه.»

أما بشأنها فلقد كانت حتماً الأكثر حاجة بينهما، وكل ما تملكه هو فقط بعض المدخرات. أملت من شقيقيها أن يتركاها في البيت لفترة. لكن ذلك لم يحصل، فقد أخذا يضغطان عليها لتبيع بسرعة قبل أن تقل القيمة الشرائية للبيت اكثر.

عرض عليها آرون بلطف: «إذا احتجت يوماً ما لأي نقود أو أي شيء آخر، عليك فقط أن تخبريني.»

جمدت سيرينا. فقبول المال من رجل يعني لها شيئاً واحداً. قالت بتوتر: «أنا بخير يا آرون، كما انني تعبة ايضاً.»

من ناحية تشعر بالسعادة ومن ناحية أخرى تطلب النصح والعون.

قالت: «حسناً.» محاولة اخفاء ادراكها بأنه فعلاً يريد صداقة حقيقية.

«عظيم، هل نستطيع الاتفاق على الساعة السابعة من مساء الأحد؟»

«جيد.»

نصحها بقوله: «كوني جاهزة، لا احتمل انتظار الأشخاص غير المستعدين في الوقت المحدد.»

اكدت من جديد: «سأكون مستعدة.»

نادته قبل أن يقطع الاتصال: «آرون!»

«نعم؟»

«ماذا بالنسبة للمنزل؟ هل فكرت بشأنه حتى الآن؟»

«لا. سأتحدث بذلك لاحقاً مع كريستين عندما اراها مساء الأحد.»

«لكن... الا تعيشان معاً؟»

«ليس الآن، فلقد أرسلتها إلى مدرسة داخلية وتمضي ايام عطلتها عند شقيقتي، لقد بعت بيتي، تعرفين هذا، واعيش في شقة صغيرة في المدينة بمفردي إلى أن اشتري بيتاً على ساحل المتوسط. اريد أن تحصل كريستين على شهاداتها المدرسية العالية من مدرسة محلية، حيث بامكانها الحصول على اصدقاء من نفس المنطقة. لم اكن راضٍ بفكرة المدرسة الداخلية لكن ناومي أصرت، وبعد وفاة ناومي لم اشأ أن افسد دراسة كريستين قبل ان يحين الوقت المناسب. لقد نالت للتو

الشهادة الابتدائية، وبعض الطلاب يبدلون مدارسهم في هذا الوقت.»

استغربت سيرينا مسحة العنف في صوت آرون عند حديثه عن قرار زوجته ارسال كريستين إلى مدرسة داخلية. للمرة الأولى فكرت بأن زواجهما لم يكن مثالياً ابداً. لم تعرف إن كان عليها أن تشعر بالسعادة أو بالأسى، وقد رأت ان الزواج السيء غالباً ما يبعد الأفراد عن تأسيس حياتهم.

«ربما هذا المنزل كبير جداً لك؟» قالت محاولة أن ترى إذا كان سيعترف بأنه سيتزوج يوماً ما.

«لا، أحب الغرف الكثيرة وأحببت دائماً لكريستين ان تكون قادرة على دعوة بعض أصدقاءها إلى البيت.»

أجابت: «فهمت.»

«تبدين قلقة بشأن البيع يا سيرينا، فهل تحتاجين إلى المال؟»

قالت: «روبرت وفيليب قالا انهما بحاجة اليه.»

أما بشأنها فلقد كانت حتماً الأكثر حاجة بينهما، وكل ما تملكه هو فقط بعض المدخرات. أملت من شقيقيها أن يتركاها في البيت لفترة. لكن ذلك لم يحصل، فقد أخذا يضغطان عليها لتبيع بسرعة قبل أن تقل القيمة الشرائية للبيت اكثر.

عرض عليها آرون بلطف: «إذا احتجت يوماً ما لأي نقود أو أي شيء آخر، عليك فقط أن تخبريني.»

جمدت سيرينا. فقبول المال من رجل يعني لها شيئاً واحداً. قالت بتوتر: «أنا بخير يا آرون، كما انني تعبة ايضاً.»

تنهد مرة ثانية: «فهمت التلميح، نامي جيداً وسأراك يوم الأحد مساءً.»

• • •

عند الساعة السادسة وخمس وثلاثون دقيقة من مساء الأحد، كانت سيرينا تنظر في مرآة الحمام، منهمكة في وضع المساحيق على وجهها. كانت مشكلتها هي ما ستريديه، فلن ترضي أن تذهب للعشاء عند شقيقة آرون وهي تبدو أقل جمالاً مما هي عليه.

اعلنت بصوت عال لصورتها في المرآة: «إذن يا عزيزتي، فقط مسحة من ظل العيون بلون الأزرق، وبعض الماسكارا واحمر الشفاه المرجاني الفاتح.

عندما أشارت الساعة الى السادسة والثانية والخمسين دقيقة، ألقت سيرينا نظرة على مظهرها، بدا شعرها مرتباً وظريفاً. حملت حقيبة والدتها المسائية البيضاء، وانتعلت حذاءها الأزرق الذي يناسب ما ارتدته واسرعت إلى الطابق الأسفل حيث طلاء الأظافر المرجاني كان معداً على طاولة المطبخ. كانت تطلي الظفر الأخير عندما رنّ جرس الباب. خفق قلبها من المفاجأة، لكن بنظرة سريعة الى ساعتها الذهبية تأكدت أن الساعة السابعة تماماً. رفعت حاجبيها بدهشة، فهي غير معتادة على الأشخاص الدقيقين بمواعيدهم.

أعادت فرشاة طلاء الأظافر إلى الزجاجة ونهضت تمشي ببطء نحو الباب، رافعة يديها كي تجف أظافرها. خفق قلبها بشدة، وتنهدت عند وصولها إلى الباب الخارجي.

فشلت محاولة فتح قبضة الباب النحاسية بباطن الكف فشعرت بانفعال ذاتي، وفي المحاولة الثالثة فشلت ايضاً، في هذا الوقت رنّ جرس الباب للمرة الثانية.

نادته: «لقد طليت اظافري الآن يا آرون، الباب ليس مقفلاً ولكني لا استطيع فتحه، فقط ادفع الباب وادخل.»

فتح الباب للداخل فجأة بقوة جعلت سيرينا تثب إلى الوراء بسرعة فتمتم قائلاً: «آسف.» واستدار ليغلق الباب وراءه، وقد افسح المجال لها فرصة قصيرة، لكي تمعن النظر في مظهره دون ان يلاحظ.

لاحظت بشيء من الراحة أنه لا يبدو كرجل اعمال اداري، لكنه ما زال جميلاً يخطف الانفاس. على الفور شعرت أن سرعة نبض قلبها قد ازدادت، وازداد معه استياءها. هل يعرف كم تتعذب بسببه؟ فهي حقاً تريد أن يعرفا بعضهما البعض اكثر قبل ان تتطور صداقتهما. وإلا كيف ستكون واثقة منه؟

تشجعت لتبتسم ابتسامة ترحيب عندما استدار ليوجه اليها، نظرة عتاب بدت على وجهه.

ثم قال بحدة: «تعرفين يا سيرينا، بأنه عليك أن تقفلي ابوابك جيداً طوال الوقت. ان المتخصصين بأعمال السطو قد يهاجمونك بسهولة...»

شعرت بالغثيان. لكنها عرفت كم هو ضروري أن تتصرف بطبيعية وألا تشعر بتأثر سريع كلما نظر إليها.

لذلك رفعت عينيها الواثقتين وابتسمت: «ومساء سعيد لك، ايضاً، سيد كينغسلي. آه، انني اتساءل عما إذا كان قلقك عليّ وعلى المنزل أم على ما قد يكون لك قريباً؟» ادركت

متأخرة جداً أن هذا يمكن أن يفهم خطأ. لكنها قررت أن تحسن من تصرفها، فنظرت إليه.

بقي مقطباً لعدة ثوان، لكن ما لبث أن أخذ يبتسم ببطء.

ثم ضحك وقال: «اتقولين لي أن اهتم بشؤوني؟»

حاولت تجاهل نبضات قلبها، التي كانت تخفق بشدة وقالت: «للرجال اطوار غريبة في اسداء النصائح للنساء، حتى لو لم يسألوا. بعض النساء لا يحبون ذلك.»

وجه نظرة ساخرة ولكن مرحة في الوقت نفسه وقال: «هل الأمر كذلك؟ احاول أن اتذكر ايتها الآنسة المستقلة، أو هل عساني ان اقول سيدة؟»

أخذت تنفخ على اظافرها، لقد كان عذراً مناسباً لأن تبعد عينيها عنه. «أوه، بالتأكيد لست سيدة، فهذا يشعرني مثل ذبابة امسكت في قنينة.»

ضحك آرون، ولأول مرة منذ أن قابلته بدا سعيداً. شعرت سيرينا بشعاع من الاقتناع الذاتي، وما أرادت قوله، كان: «أترى، افهم يا آرون كينغسلي، إنني رفيقة جيدة ولكن بعيداً عن الارتباطات. وهدفي ان اجعلك تعرف ذلك.»

سألها وهو ما زال يضحك: «ألم تجف هذه الأظافر بعد، العشاء لن ينتظر لوقت غير محدد. أو بالأحرى جيليان لن تنتظر. أنت تعرفين الشقيقات الأكبر سناً كم هن ثرثارات.»

تأوهت: «أوه؟ إذن شقيقتك هي من يتمسك بدقة المواعيد، أليس كذلك؟ فقد تساءلت من كانت تلك التي حولتك إلى مراقب دائم للساعة.»

تبدّل مزاج آرون كان سريعاً ومنذراً، وقال بحدة: «من منا يخطىء؟»

تراجعت سيرينا إلى الوراء قائلة: «سأجلب مفتاح البيت وحقيبتي، وبعدها نذهب في طريقنا.»

استدارت بسرعة، متوجهة إلى المطبخ حيث تركت أشياءها.

لقد حيّرتها ردة فعل آرون إلى أن عزت الأمر إلى ضغط العمل. انها تؤمن جيداً بأن العالم قد خطا خطوة واسعة منذ العقد الماضي، ومعظم الناس يتخطون التعب باخذ قسط من الراحة في أوقات فراغهم ويخففون بعض الشيء من حرصهم على دقة المواعيد. في الواقع ان اكثر الناس لا يدققّون مع غيرهم من الناس بمواعيدهم. قررت أن آرون بحاجة إلى من يظهر له أن العالم لن ينتهي إذا ما تأخر بضع دقائق عن موعده.

فكرت في ذلك بينما كانت تعود إلى مرافقها الوسيم ولكن الشديد التمسك، الذي بقي واقفاً حيث تركته قرب الباب الخارجي. لكن أية محاولة لجره بعيداً عن مشاكله التي تضغط عليه قد ألغيت الآن بعد ان لاحظت نظراته إلى كل حركة من حركاتها فيما هي تقترب.

قال وقد تلاشى انفعاله السابق: «كم أنت جميلة يا سيرينا.»

أجابت بصوت أجش:

«شكراً لك.»

«لكنني افضل أن يكون شعرك منسدلاً، سأسدله لك في ما بعد.»

اشتدت خفقات قلبها، ففي الوقت الذي هدأت فيه نفسها، تحولت نظراتها لتصبح باردة وتحمل اللوم.

قالت ببرودة: «هل استطيع أن اذكرك؟» يا آرون بما قلته لي بأن هذه الليلة هي مجرد موعد دون قيد او شرط؟»

بادلها النظرات بنظرات مماثلة.

قال: «هل قلت ذلك؟»

أومأت برأسها قائلة: «أجل.»

ابتسم لها، لكنها لم تكن ابتسامة دافئة وقال: «دعيني اقول لك بأنني قادر على الاحتمال اكثر، والمسألة تعود لك.» ثم أمسك بمرفقها وخرجا من المنزل.

لم تجد سيرينا راحة كبيرة في تأكيد كلام آرون الهادىء أو من ملاحظته الأخيرة التي كانت تحمل معنى آخر.

الاحتمال، فكرت بعبوس بينما اقفلت الباب الخارجي، الرجال مثل آرون لا يعرفون ذلك ابداً. كل شيء يأتي إليهم بسرعة وبسهولة. الحب، الصداقة، النجاح.

لكن ما لبثت أن تذكرت موت زوجته وشعرت بأنها ارتكبت خطأ في حقه. انه بالتأكيد لم يجد وفاتها بالأمر السهل.

وضعت المفتاح في حقيبت يدها، ثم ابتسمت له قائلة: «كل شيء مطمئن الآن، اخبرني عن شقيقتك، يا آرون، لا احب أن ابدو غبية عندما أصل. قلت إنها أكبر منك سناً، بكم؟»

«في الواقع اكبر بحوالي عشرين عاماً تقريباً، هي الوحيدة الباقية من عائلتي حتى الآن، وهي على الأرجح تحسب نفسها بمثابة والدتي اكثر من كونها شقيقتي وهذا ما ذكرني بأن احذرك بأنك قد تسببين لها الصدمة.»

تراجعت سيرينا إلى الوراء وقالت: «الصدمة؟ لِمَ قد اصدمها؟»

أجاب آرون: «منذ أن اصبحت ارملاً، حاولت جيليان أن تزوجني من أية مطلقة أو ارملة قادرة على ايجادها. كلهن كن في اواخر الثلاثينات، هذا أقله. تعتقد أنه من واجبها أن تراني مستقراً وسعيداً. وبالنسبة اليها، الاستقرار والسعادة للرجل تعني زوجة تنظف وتطبخ وتهتم بالبيت لسوء الحظ، اننا مختلفين في الرأي بالنسبة لما يجعلني سعيداً...»

كانت ابتسامته مليئة بالمعاني عندما نظر إليها، ومع انها يجب أن تكون مستاءة من أن اعتقاده بأنها لا تملك المهارة بالنسبة لواجبات ربة المنزل البسيطة، لم تستطع سيرينا السيطرة على تورّد وجهها من السعادة التي شعرت بها. فمن الممكن أن تجعله سعيداً. لأنها من النوع الذي يفضله.

ليس هذا فقط، فمن الواضح جداً ان آرون كان يفكر بالزواج مرة ثانية. لِمَ، ولأي سبب آخر، تواصل شقيقته بحثها عن زوجة له؟ الأمر الذي جعل سيرينا تأمل خيراً.

«تبدو رائعة، وأنا لا اعتقد بأنني سأصدمها على الاطلاق. فأنا مدبّرة منزل اكثر مما تتصور.»

ضحك قائلاً: «مدبرة منزل؟ أنت؟ لا اصدق ذلك على الإطلاق.»

استمر بالابتسام، وأمسك يدها ومشى بها في الممر نحو السيارة. قالت: «ربما قد ادهشك، ولكنها الحقيقة، يا آرون، إذا كان بحث شقيقتك عن زوجة لك يضايقك، لِمَ لا تضع حداً لذلك؟ لم لا تقول لها بأن تتنحى جانباً، وبأنك

ستختار زوجتك بنفسك. اذا قررت الزواج فمتى سيكون ذلك؟»

ضحك مرة ثانية، لكن بخشونة هذه المرة. «آخر شيء في العالم افكر فيه هو الزواج مجدداً. ابداً! لكنني احاول قول ذلك لامرأة اكتشفت حديثاً سعادة المتزوجين من بعد خوفها من أن تبقى عانساً.»

جاهدت سيرينا لأن تقول: «شقيقتك تزوجت منذ مدة قصيرة، إذن؟»

«منذ سنوات قليلة، ومن أحد الأطباء الذين عالجوا والدي خلال مرضه الأخير. جيرالد قد طلق حديثاً بعد زواج دام ثلاثين سنة! ومن الواضح أنه بحاجة لزوجة تهتم به. هذا لا يعني أنه لا يحب جيليان. أنا متأكد أنه يحبها. في الواقع، هي إمرأة جميلة بالنسبة لسنها.»

وصلا إلى سيارة البي أم، حيث ترك آرون يد سيرينا ليفتح لها الباب. وقفت هناك بصمت رهيب، ومفكرة بكل ما سمعته من آرون. انه من دون شك يعني تماماً ما قاله بأنه لا يريد الزواج مرة ثانية. وبالنسبة اليها، فهي كانت قد قررت بأنها لن تسمح لنفسها بأن تقيم صداقات لا نهاية سعيدة لها.

مع ذلك، فهذا كل ما يريده آرون منها، وهي تخادع نفسها في تمنيها أمور أخرى، انما فقط لا تريد الاعتراف بأنه لا يختلف عن الرجال الآخرين الذين تعرفت اليهم.

قال آرون بهدوء بينما كان يفتح باب السيارة: «شيء آخر فقط اريد ان اقوله لك كي لا تفاجئي بالأمر، هذا العشاء العائلي الليلة هو احتفال بذكرى مولدي، لقد بلغت اليوم الرابعة والثلاثين من العمر.»

تأوهت: «ذكرى مولدك، أوه، يا آرون، لِمَ لم تخبرني؟ كنت أودّ شراء هدية لك... على الأقل بطاقة معايدة.»

قطبت حاجبيها وهزت رأسها، اخفضت نظرها بانفعال. وفكرت رجل مثالي! ألا يعلم بأنها قد تصاب بالإحراج في مناسبة كهذه؟ بالإضافة فهي تحب تقديم الهدايا!

أدار وجهها بشكل جعلها تنظر في عينيه ثم تمتم قائلاً: «لا تبدي الاستياء هكذا» فشعرت سيرينا باضطراب شديد.

رفع رأسه وحدق في عينيها الخائفتين وتمتم: «تباً، لكنك تقاومين.»

إذا كان هناك شيئاً على سيرينا أن تفعله، فهو قدرتها على السرعة بمسك زمام الأمور.

عشر سنوات من الاعتماد على نفسها قد أولدت فيها مقاومة لم تأمل فتاة صغيرة بالحصول عليها. تستطيع أن تبدو هادئة بينما تكون في داخلها منزعجة، غاضبة، وحتى قلقة كما هي عليه الآن. اي فتاة عملت في بعض الوظائف التي عملت بها سيرينا مثل نادلة في مطعم أو موظفة استقبال، أو عاملة هاتف، عليها أن تقاوم للحفاظ على هدوئها. كل هذا جعل الحياة صعبة. وكان عليها ان تختار أمراً من أمرين، إما التأقلم، أو التضور جوعاً.

لذا تشجعت سيرينا وخطت خلف آرون لتصعد إلى السيارة. ورسمت تعبيراً لطيفاً هادئاً على وجهها وهي تجلس.

اسندت سيرينا ظهرها واغمضت عينيها بقنوط.

شعرت سيرينا بأنها ممزقة الأحاسيس والمشاعر. لكن المنطق كان يفرض عليها ألا تستسلم له، لأنها لو فعلت

ذلك، فستتجه إلى بؤس اعظم من البؤس الذي عرفته على الدوام.

لقد امضت ثمانية وعشرين عاماً تنتظر وتتمنى الحب الحقيقي، فهي لا تريد صداقة عابرة. لقد ارادت تحقيق احلامها النابعة من القصص الخيالية. لكن من ينظر إلى وجه آرون يخبرها أنه منذ زمن بعيد لم يعد يثق بمثل هذه القصص.

تأوهت بصمت، كانت تأمل ان تجد في نفسها الشجاعة اللازمة عند عودتها لاحقاً إلى المنزل لتفعل ما يجب عليها فعله.

الفصل الرابع

لاذت سيرينا بالصمت بينما كان آرون يقود السيارة بهدوء إلى أسفل التلة وعبر المنعطف المؤدي إلى الطريق الرئيسي لشاطىء الباسيفيك. ارادت الصمت، لتتمكن من معالجة حزنها، لكن عندما لم يتابع سيره عبر الطريق الرئيسي الذي يؤدي إلى غوسفورد وسلك طريقاً متعرجة ضيقة، في وادٍ مهجور، أخذ منها الفضول كل مأخذ.

سألته: «أين تسكن شقيقتك؟»

«قرب مسبح فورستر، وهذه طريق مختصرة. لكن تباً، انظري إلى هذه الطريق الوعرة، يمكنك أن تختفي في بعض هذه الحفر دون ان يتمكن أحد من ايجادك أبداً!»

«هذا كله بسبب الامطار التي انهمرت مؤخراً.»

أجاب بتذمر: «كما ولو ان هذه المنطقة بحاجة لأمطار أكثر.»

كان على سيرينا أن توافق، فنمو نبات الساحل المتوسط كان خصباً، فقربه من الجبال المحيطة لخط الساحل شبه الاستوائي أوجد بركاً من المطر في الغابة، الآن مع هذا المعدل من تساقط المطر، كل شيء أصبح يبدو وكأنه غابة، غابة موحشة جداً.

«من الصعب أن تتوفر الشروط الكاملة في سيارة كهذه.» قال آرون ذلك عندما غرقت عجلة السيارة في اخدود آخر عميق.

«ربما يجدر بك أن تعود وتسلك الطريق الطويل عبر غوسفورد.»

رمقها آرون بنظرة جانبية وقال: «فات الأوان على ذلك، فعندما اعتزم على المباشرة بأمر ما، أرفض التراجع عنه.»

لم يكن هناك مجال للرد، لأنه في تلك اللحظة ارتدت السيارة بسبب خبطة لا يمكن تجنبها، فانزلقت السيارة على جانب الطريق قبل أن تستقر في وقفة مرتجة. لم يكن من حاجة لأحد منهما ان يُخرج رأسه من نافذة السيارة ليعرف ما قد حصل. لقد انفجر الاطار الذي الى الجهة اليمنى.

قطب آرون وضرب عجلة القيادة: «تبّاً وتبّاً!»

«لا بأس.» حاولت سيرينا تهدئته، فسفرها المتواصل قد اوجد عندها سهولة في مواجهة المشاكل والتأخيرات التي لا يمكن تجنّبها. «ليس هناك من اضرار حقيقية، لديك اطار اضافي، أليس كذلك؟ سأساعدك.» وكانت على وشك الخروج.

اوقفها آرون بقوله: «لا تكوني سخيفة، يا سيرينا. فأنا لن اسمح ان تطئي الوحل وأنت في ثيابك الجميلة هذه، ابقي مكانك.»

«بالتأكيد لا! فثيابك جيدة كثيابي. هل لديك شيء في صندوق السيارة نستطيع أن ننشره على الأرض بجانب العجلة؟ دثار قديم مثلاً؟»

قطب جبينه بسبب اصرارها الشديد للعب دور المساعدة، وقال: «اعتقد ذلك.»

سارا معاً نحو مؤخرة السيارة ففتح آرون الصندوق، وسحب منه بساطاً مخططاً خاص بالسفر.

قالت سيرينا تنصحه: «من الأفضل أن تنير ضوء الخطر.»

كان الظلام يحل سريعاً في ذلك المساء بسبب بعض الغيوم الداكنة.

نظر اليها نظرة ساخرة: «أنت لا تحبين النصائح ولكنك لا تُمانعين في اسدائها، أليس كذلك؟»

هزت كتفيها قائلة: «آسفة، هل يجب علي فقط ان أقف جانباً وأظهر القلق؟»

«لا، ولكن حافظي على جمالك.»

اخفضت نظرها منزعجة مما تستطيع أن تفعله بها كلماته القليلة. لم الظروف تعاندها الى هذا الحد فتعود بها لتلتقي برجل أحلامها، حيث وجدته مشتت الفكر، أرادت حباً حقيقياً، زواج، وتأسيس عائلة. انها لا تريد أن تضيع المزيد من الوقت. تريد أشياء حقيقية الآن. مع ذلك كل ما قُدّم لها بدا وكأنه صداقة مؤقتة لن تنتهي بأي شيء يُذكر. ما أغضبها أكثر هو انه يجب عليها أن توافق فعلاً.

قالت وهي تعمل على الاطار بعزم: «انه سهل، اليس كذلك؟»

وافقها آرون وهو يشغل ضوء الخطر: «أنت على حق، لذا... عندي وظيفة لك، امسكي بسترتي.»

ناولها سترته، ثم رفع السيارة وجلس القرفصاء ليبدأ بحل البراغي - كان ظهره مواجهاً لها، وبصورة تلقائية أخذت تحدق به.

«تبّاً على هذا البرغي الفاسد، الأشياء المتلفة لا تتحرك.» وأخذ سترته من يدها وأعطاها المفك. «ستجربين قدر الامكان بينما أرتاح أنا لبرهة.»

الآن، حاولت سيرينا ان تجمع قوة مزيفة. أخذت نفساً عميقاً، انحنت ووضعت كل ذرة من طاقتها في شدّ البرغي، فقال آرون بدهشة: «لقد نجحت.»

بدا وجهها بأجمل حُلة بينما كانت تقف على قدميها وأرجعت المفك إليه قائلة: «شيء طبيعي، فنحن النساء بارعات بأشياء أخرى غير تحضير الشاي، كما تعلم.»

أردف قائلاً، وهو ينظر اليها: «همم... متأكد انك كذلك.»

«لقد انتهينا.» قال آرون، بينما اخذ يدحرج الاطار ليضعه في صندوق السيارة، جمعت سيرينا الدثار وأعطته له قائلة بهدوء: «أعتقد بأننا تأخرنا على موعد العشاء الآن.»

«بلا شك. اسمعي، لا اريدك ان تستائي. سوف نذهب إلى أقرب محطة للوقود ونتصل بجيليان لنبلغها بما حصل بينما أصلح هذا الاطار.» ثم نظر إلى ساعة يده: «ما زال بامكاننا الوصول في الساعة الثامنة.»

ثم أضاف آرون بخفة: «من الأفضل أن نسرع إذاً.»

كانت الدقائق التي تلت مثيرة جداً خاصة مع المطر المفاجيء الذي يجعل من القيادة أمر صعب، وآرون لا يريد زيادة السرعة بسبب ذلك. شعرت سيرينا ببعض الاطمئنان عندما أدت أخيراً الطريق الفرعية إلى الطريق الرئيسية التي تؤدي إلى المسابح، أشارت: «انظر، هناك محطة، وهاتف...»

بعد تأخير دام خمس وخمسون دقيقة تابعا طريقهما مجدداً، وهدأت جيليان كلياً بهذا الاتصال المُطمئن.

سألها آرون بينما كان يقود السيارة خارج المحطة: «هل دائماً ينظر الرجال اليك هكذا؟»

قطبت قائلة: «لا افهم.»

«ذلك الميكانيكي الصغير، لقد حدق بك طوال الوقت الذي كنت تنظفين فيه حذائك.»

«آه.» وفكرت سرينا انه ربما ما كان عليها أن تبتسم عندما سألت الميكانيكي عن المناديل الورقية.

لكن انزعاج آرون من تصرف الميكانيكي كان على الأرجح كما اعتقدت اتهام الغير بما فيه من عيوب.

قالت مدافعة: «لا أستطيع عمل شيء إذا ما نظر إليّ الرجال. هذا يسبب لي الاحراج أحياناً، لكن ما الذي يمكنني فعله بشأن ذلك؟ هل ألف نفسي بغطاء؟»

قال بحدة: «ربما هذه ليست بالفكرة السيئة.»

«لا تكن سخيفاً، فالجو حار جداً، بالإضافة، إلى انه يجب أن لا الام بسبب ذلك.»

كان عبوسه قاتماً ومبهماً، فقالت بعدما تجاوزا المفترق: «اعتقدت بأننا ذاهبين إلى مسبح فورستر.»

«لا أظنك جيدة في التركيز معي؟» تذمر بينما كان يدور بالسيارة.

كانت نظرتها جافة، تغطي جيداً ما يعتمرها من حزن، لذا قالت: «ربما ما كان يجب أن ارافقك، ربما كان من الأفضل أن تستقر على احدى المطلقات التي تختارها لك جيليان.»

«لا! انهن جميعهن سمينات كالنعاج.»

«عندئذ على الأقل، تكون قادراً على التركيز عليهن اكثر مني، لأن الميكانيكي لم يكن يحدق بي أبداً.»

ضحك بفتور موافقاً: «عندئذ سيكون كل شيء أكثر أماناً، لكن في الوقت نفسه، مخيف ومزعج، وهذا ما لن تكوني عليه في يوم من الأيام يا سيرينا، ربما قد تكونين مغضبة أو محبطة أجل. إنما مملة؟ أبداً!»

«لقد طمأنتني بكلامك هذا.»

«هل أنت دائماً هكذا ساخرة لكن بنعومة؟»

«فقط في أمسيات يوم الأحد.»

«مهلاً، مهلاً. ان ذلك تلفيقاً. لقد كنت في حالة رائعة على الهاتف مساء الثلاثاء الماضي مع ذلك المسكين روبرت.»

«أوف!»

انزعج آرون: «لا يمكنك انكار ذلك.»

«أبداً، فقط في يوم الأحد.» أجابت بتهكم، مدركة ان حوارهما قد تحول إلى ممازحة متبادلة لا يمكن توقيفها.

أوقف آرون السيارة إلى جانب الطريق وغيّر مجرى الحديث بسرعة: «أعطني فكرة موجزة عن شقيقيك قبل أن نلتقي بجيليان، أمامنا عدة ثوان قبل النزول ولا أريد أن أبدو بأنني اجهل كل شيء عنك بعد ان قلت بأنك صديقة قديمة جداً.»

أخذت سيرينا نفساً عميقاً، محاولة تهدئة نفسها من فكرة اللقاء بعائلة آرون، وأجابت: «ان عمر روبرت الآن ستة وثلاثون، محام بارع جداً متمرن في سيدني. تزوج من فيفيان، وهي زوجة اجتماعية. لم ينجبا الأولاد. فيليب

يعمل في مجال الكمبيوتر. يكتب برامج، على ما أعتقد. عمره اثنان وثلاثون عاماً ومتزوج من ايفون، عارضة أزياء، ليس لديه أطفال أيضاً.»

حل آرون حزام الأمان وقال: «عمل عظيم، عليّ أن أوظفك بتسجيل بياناتي بمثل هذا الاختصار ولكن تحمل الاخبار الكثيرة إنما، أكثر ما أحبه هو ان أبقى هنا في الخارج معك، ولكن أعتقد انه من الأفضل أن ندخل. لا بد وان الحساء قد سخّن للمرة الثالثة حتى الآن.»

«هل شقيقتك منزعجة؟» سألته سيرينا وهما يخطوان معاً باتجاه البيت، الذي بدا من النظرة الأولى بانه فخم وكبير جداً.

أكد آرون: «انها قلقة أكثر من كونها منزعجة. كريستين هي الشخص الوحيد المستاء حقاً. مع انني لا أراها كثيراً الا انها تستطيع أن تمتلك كل وقتي.»

«يمكنني فهم ذلك.» تمتمت سيرينا، وهي تفكر بابنة آرون، ببعض المشاعر العميقة لأول مرة. طفلة مسكينة، فقدت والدتها وهي فقط في عمر المراهقة. اذا كان عمر آرون أربعة وثلاثين عاماً، فلا بد عمر كريستين هو السادسة عشرة. والمدرسة الداخلية بالتأكيد ليست دائماً متفهمة كما تبدو.

«هل تحب المدرسة الداخلية، يا آرون.»

هز كتفيه وقال: «لم تتذمر يوماً، كما انها لن تفعل. فهي فعلاً ابنة جيدة، ستحبينها.»

فُتح الباب الخارجي فجأة، وقال احدهم: «لقد وصلت أخيراً!»

كان الرجل صاحب الصوت المدوّي في عمر يُناهز الخامسة والخمسين، ذو وجه مستدير جميل، شعره رمادي مظهره يدل على انه متخصص في اعداد حفلات عشاء كثيرة منذ زمن بعيد.»

اعتذر آرون: «آسف يا جيرالد.»

«ليس ذنبك، ايها الشاب. لكن من الصعب جداً الحفاظ على شيئين، وهما ابقاء الطعام دافئاً والشهية للطعام. فلقد كان من المفروض تقديم الحساء الفرنسي بالبصل والخبز المحمص منذ خمسين دقيقة.» ثم حوّل نظره إلى سيرينا وتابع: «لقد عرفت الآن ما كنت تحاول قوله على الهاتف في تلك الليلة، تقدم واضح بالنسبة لعرض جيليان في الاسبوع الماضي، اليس كذلك؟»

«همم.»

تابع جيرالد بابتسامة عريضة: «اسمك سيرينا، أليس كذلك؟»

«سيرينا مارشمونت.» قالت وهي تفكر كم هو رائع وبشوش زوج جيليان، ولكنها حاولت في الوقت نفسه أن تخمن ماذا قال عنها آرون عبر الهاتف. شيئاً مثل، انتظر حتى ترى من سأحضر معي يا صديقي!

ثبتت عزيمتها لتكون قوية حتى نهاية الأمسية وسألت: «هل أناديك جيرالد أو دكتور؟»

«جيرالد، إذا كنت تعرفين ما هو الأنسب لك، أيتها الشابة! لا أتمتع بشيء من صفات الدكتور المتجهم الوجه.»

اقترح آرون بشيء من العنف: «ألن ندخل؟» لا يبدو عليه انه قدّر طريقة اعجاب جيرالد بها.

تجمعوا كلهم في القاعة القرميدية الفسيحة، بلمحة سريعة وشاملة، يدرك المرء ما فكرت به سيرينا منذ البداية بالنسبة للبيت. فقد كان بسيطاً في اثاثه من السجادة العجمية التي على الأرض، وإلى ورق الجدران والثريا الكبيرة المعلقة في السقف.

«في الوقت المحدد أيضاً.» قالت صاحبة المنزل وهي تفتح احد البابين المزدوجين إلى اليسار.

كانت جيليان بالفعل امرأة جميلة، ذات وجه قوي الملامح، قصيرة القامة ذات شعر أشقر وعينين بنيتين خارقتين. ثم نظرت إلى سيرينا نظرة حادة، خطت خطوة سريعة باتجاه آرون وقبلته على وجنته قائلة: «اهلاً، يا عزيزي. اعتقد ان هذه هي سيرينا.» اردفت بابتسامة صغيرة: «أنت على حق يا آرون، انها جميلة جداً.»

لم تحتمل سيرينا وصفهم الصريح لها، فقالت: «لطف منك أن تقولي ذلك، لكنني لم أعتقد أبداً بأنني جميلة لهذه الدرجة. لسبب واحد، وهو ان فمي كبير جداً.»

تنحنح جيرالد، حدقت إليه زوجته قائلة: «ما الذي يجري؟»

وصل رجل آخر إلى القاعة. في حوالي الأربعين من العمر، خمنت سيرينا بأنه لطيف المظهر، ذو شعر مموج غير منظم، وكان يرتدي بنطلوناً أسود وقميصاً مخططاً.

«إذا أردت أن تتأخر يا آرون بسبب الاحتفال بذكرى مولدك، فأقل ما يمكنك فعله هو ان تدخل الينا فور وصولك لا ان تتلكأ في الخارج.» التقت عيناه بعيني سيرينا، وأخذ

يتأملها قبل أن يرفع حاجباً واحداً، ثم تقدم ليقف قرب آرون، لم تغفل سيرينا عن نظراته. تمتم قائلاً: «أنا سعيد برؤيتك أخيراً. اراك قد أخذت بنصيحتي اخيراً، يا صديقي العزيز.»

ضُعقت سيرينا، وقد شعرت بالحيرة عما يقصده بتلك الملاحظة.

قال آرون بحدة: «هل لديك مانع؟ هذا الرجل السيء الحظ يتنكر بمظهر الرجل النبيل يا سيرينا، انه كرايغ ايفرلي شريكي في العمل. ربما عما قريب يصبح شريكي السابق.» اكد كلامه هذا وهو ينظر اليه بغيظ. «إلا انك كنت محقاً بأمر واحد، فعلينا جميعاً البدء بتناول العشاء. والآن، أين ابنتي؟»

«والدي، أين كنت؟» تقدمت مراهقة في سروالٍ من الجينز وقميص أبيض وخطت عبر القاعة إلى ذراعي والدها. «كل عام وأنت بخير يا أبي!» قبلته مما جعل سيرينا تشعر بالسرور لأنها لم تر آرون من قبل وهو مرتبك.

احتضن الفتاة بحماس: «شكراً لك، يا صغيرتي الحلوة. الآن، استديري للتعرف إلى زائرتنا سيرينا، هذه كريستين، ابنتي النشيطة. كريستين، هذه سيرينا مارشمونت، صديقة قديمة منذ أيام الدراسة.»

تعجبت الفتاة: «قديمة؟ هي ليست عجوزاً يا والدي، إلا إذا كانت قد قامت بجراحة تجميلية.»

ضحكت سيرينا ووجدت الفتاة جميلة جداً، ذات عينين بنيتين متوهجتين وشعر بني أجعد: «لا جراحة تجميلية حتى الآن.» واعتقدت سيرينا، بأن ابنة آرون تتمتع بمزاج

مرح، على الأقل بيئة المدرسة الداخلية لم تجعلها خجولة أو انطوائية.

مهما يكن، فهي تميل إلى الثرثرة بسرعة وهذا أمر مألوف لدى الفتيات في سن المراهقة. بدأت تخبر والدها عن الكثير من الأمور في آن واحد، مثل الكعكة التي عجنتها ذلك اليوم ثم الهدية (المُروعة) التي اشترتها له. وقد اردفت كلمة المروعة في كل جملة قالتها.

بعد وقت قصير رفعت جيليان حاجبيها واعتذرت من زائريها بالنسبة لجيرالد، لأنها تريده معها في المطبخ لمساعدتها، لكن ليس قبل أن تترك تعليمات صارمة لكرايغ بأن يصطحب الجميع إلى غرفة الطعام ويُجلسهم حول المائدة. فعل ذلك بامتنان كبير، اجلس سيرينا إلى جانبه في غرفة الطعام البيضاوية الشكل، مُعللاً ذلك بأن على كريستين الجلوس قرب والدها. لم يبد آرون مسروراً بذلك الترتيب، لكن سيرينا لم تمانع أبداً وقد وجدت ذلك أفضل من الجلوس قرب آرون الذي يبدو منظره منزعجاً.

عندما جلست اختلست النظر حول الغرفة الكبيرة معجبة بذوق جيليان، الذي عليه يغلب اللون الأخضر في التصميم. وكانت الغرفة متناسقة جداً، مزينة بورق الجدران المخملي الثمين ولوحات ذات اطارات مذهبة علّقت على الجدران. من المؤكد انها أصلية، تصوّر مشاهد ريفية تشبه المشاهد المحلية لهذه المنطقة.

انهمكت جيليان بجلب الحساء والخبز المحمص بينما سكب جيرالد العصير لكل من يريد عارضاً اختياراً من عدة أصناف.

بدأت سيرينا حواراً مع كريستين، سألتها إذا ما كان والدها قد أخبرها بشأن البيت.

أجابت الفتاة بحماس: «نعم، على الهاتف. سمعت انه رائع وأنا فعلاً لا أبالي كثيراً بعدم وجود حوض. على أية حال أنا أفضل الحديقة. متى أستطيع الذهاب لرؤيته؟ غداً؟»

عنّفها آرون بهدوء: «كريستين، أنت تعرفين ان عليّ الذهاب إلى العمل غداً.»

اقترحت سيرينا: «لِمَ لا تأتين بمفردك؟»

اعتقدت، ان هذا قد يكون أفضل من مجيئها مع والدها. «ليس عندي عمل يوم الاثنين. كنت سأمضي يومي بالتسوق للعيد لكن...»

«أوه، لكن علي أن أتسوق بعض الحاجيات أيضاً، أليس كذلك، يا عمتي جيليان؟ سيرينا ستساعدني في ايجاد شيء لوالدي، تعرفين كم انه أمر شاق انتقاء هدية له. لكنني متأكدة ان سيرينا تعرف تماماً ما يحتاج إليه الرجل.»

مرت لحظات قصيرة من الصمت الحاد، قبل أن يتنحنح آرون قائلاً: «حسناً، إذا لم تمانع...»

وافقت سيرينا بسرعة: «لا أبداً، هل تعرفين مكتبة غوسفورد؟»

أشرق وجه كريستين وقالت: «أجل.»

«سنلتقي عند الساعة التاسعة انتظريني امام المكتبة، سنذهب للتسوق قبل أن تزدحم الأسواق. ثم بعد ذلك سأصطحبك لتشاهدي المنزل، وبعدها أعيدك إلى منزلك على دراجتي.»

بدت جيليان مذعورة حين قالت: «دراجة! أنت بالتأكيد لا تعنين دراجة نارية؟»

«حسناً، أجل، أنا...»

تدخل آرون بلطف: «اعتقد ربما، علي أن أعود باكراً والتقيكما معاً في المنزل، ثم أعود بكريستين إلى البيت.»

تنهدت سيرينا سراً، إلا انها لم تتمكن من ايجاد مخرج لهذا المأزق. انها تعرف جيداً ان بعض الناس يستاؤون بشأن الدراجة النارية. مع العلم ان دراجتها صغيرة جداً وغير سريعة.

قُدم العشاء، وأخذت اطباق الحساء ليحل مكانها حسب الأسلوب المتبع، شرائح اللحم المحضرة بامتياز، وبالأخص المحار اللذين. انتهى النقاش بينما كل فرد مد يده إلى قطع اللحم اللذيذة، فشهيتهم قد ازدادت بسبب تأخر وقت الطعام.

عندما توقفت الموسيقى، نهض جيرالد وبدّل الشريط: «آه... شوبان.» تمتمت سيرينا بعد ان سمعت موسيقى لاعظم المؤلفين المشهورين.

اختلس آرون نظرة إليها وسألها بدهشة: «اتحبين موسيقى شوبان؟»

بصراحة، سيرينا لم تكن تحب الموسيقى الكلاسيكية بطبيعتها، لكن بول كان يحبها كثيراً، على الأخص شوبان. كان يعزفها باستمرار، غير انها لم تعترف امام الجميع بذلك، فتركت الشرير اللطيف يعتقد بأنها خبيرة.

أجابت بحماقة: «ليس كل ما ألفه، افضل فقط احدى المعزوفات، فأنا لست شديدة التحمس للسمفونيات التي

يقوم بعزفها على البيانو. فالمقطوعات الثلاث قد عزفت على مفتاح البيانو الثانوي. وأنا أفضل العزف على المفتاح الأساسي. فهو أكثر ايجابية وعمقاً، ألا تعتقد ذلك؟»

وافقها قائلاً: «أجل، انني متأكد من انك محقة.»

تدخل جيرالد وقال بصراحة جعلت سيرينا تبتسم ابتسامة تآمرية: «سيرينا ليست حسنة الملامح فقط، أليس كذلك؟»

أردف كرايغ، وعيناه تتأملانها باعجاب: «حتماً لا.»

شعرت سيرينا بأنها تريد سكب وعاء الحساء فوق رأسه.

تدخلت هنا كريستين قائلة: «لا أعتقد بأنها حسنة الملامح فقط، بل انها ذكية.»

هذا المديح جعل سيرينا تشعر بالخجل، وكي تجد شيئاً لتقوله سألت جيليان ماذا أضافت للجزر واللوبياء حتى جعلتها بهذا الطعم اللذيذ.

«اضفت قليلاً من الثوم المهروس والكريما، وذلك بعد ان نضجت الخضار.» شرحت المرأة وقد بدت مسرورة، مما فتح موضوعاً للنقاش معها.

قال لها جيرالد: «يبدو انك تعرفين ايضاً بأمور الطبخ يا سيرينا، ماذا تفعلين بالضبط لكسب عيشك؟»

تلعثمت سيرينا، اختلست نظرة عبر المائدة لتجد آرون ينظر اليها بعينين متأملتين. فاعترفت للمستمعين المنتظرين بصمت: «لقد عملت في أشياء عديدة في حياتي بحيث لا أستطيع أن أحصيها، لقد تنقلت قليلاً، في المناطق المجاورة، سافرت إلى ساحل كوينزلاند، متخذة

أماكن متعددة خاصة بالسائحين. درست فترة في مجال تحضير كوكتيل العصير منذ عدة سنوات وأنا الآن أعمل في هذا المجال، حيث حصلت على بعض الخبرة، لكنني في ما مضى عملت كمضيفة استقبال، نادلة، مساعدة طباخ، مدربة رياضية...»

تعجبت كريستين: «كيف استطعت القيام بكل ذلك؟»

علّق آرون بحزن:

«انها أقوى مما تبدو.»

التقت عيناه بعيني سيرينا الضاحكة لتذكرها حادثة الإطار. اومأ لها برأسه، ثم ابتسم ابتسامة ملتوية، قائلاً: «منجم من المهارات المخبأة، ألست كذلك؟»

«بعضها غير مخبأ، جيداً.» وصل الانتقاد إلى اذنها، بصوت خافت جداً لدرجة ان لا أحد غيرها يُحتمل أن يكون قد سمعه من كرايغ.

سيرينا لم تكن قادرة على ايقاف ذلك، مع انها، همست له كردٍ على ذلك: «تعليق آخر كهذا، وسأركلك على عظام ساقيك، وأرمي بهذا الشراب على وجهك. فأنت تستحق ذلك! الآن ابتسم يا عزيزي كرايغ، فالجميع يشاهدوننا.»

إلا انه لم يبتسم فقط، بل ضحك.

قال آرون بصوت حاد: «هل نستطيع مشاركتكما في هذه النكتة.»

حوّلت نظراتها إليه، فقد كان هناك شعاعاً من الغيرة في عينيه أذهلتها كثيراً. هل يُمكن أن تكون مخطئة بشأنه؟ هل يمكن أن يكون قد بدأ يشعر تجاهها بأكثر مما هي تتصور؟ ربما أظهرت له هذه الليلة انه بالإضافة إلى شخصيتها

الأكثر وضوحاً، هناك عدة أوجه أخرى لهذه الشخصية تستحق المعرفة.

راوغ كرايغ بحذق:

«سيرينا كانت فقط تذكرني بأن أبعد مِرفقي عن الطاولة، ليس هناك أية نكتة.»

قال آرون بجفاف: «حقاً؟»

نهض جيرالد قائلاً: «هل الجميع جاهزون لتناول الحلوى؟»

الجميع كانوا جاهزين على ما يبدو، مع ان آرون كان لا يزال ينظر إلى سيرينا وكرايغ بفضول مبهم.

كانت الحلوى لذيذة، بعض الفاكهة المجففة التي تُشعر بالفخر لمن حضرها. وقالت سيرينا ذلك لجيليان، مما جعل جيليان تشعر بالمودة تجاهها أكثر.

عندما أعلن جيرالد بأن عليهم الانتقال إلى غرفة الجلوس لتناول القهوة، أسرع آرون بخفة وأمسك بذراع سيرينا ووجهها للجلوس على مقعد مزدوج، وتمتم بقسوة: «أعرف بأن علي ألا احيد بنظراتي عنك.»

كانت تنهيدات سيرينا مليئة بالعذاب، ففي أي ظروف أخرى كانت ستقف وترحل لولا ان رأت كريستين قادمة وتحمل عدداً من الهدايا بين ذراعيها فلم تشأ افساد هذه الليلة عليها، بينما أخذت ولا زالت تأمل في أن تلقن آرون درساً في ما بعد.

«انه وقت تقديم الهدايا!» أعلنت كريستين ذلك، ووضعت علب الهدايا بسرور على الطاولة، عندها أتت جيليان وهي تحمل صينية القهوة وكعكة عيد آرون، لم يكن لسيرينا أي

خيار إلا أن تضحك وتتحمل النصف ساعة الباقية لتقديم الهدايا وتناول الحلوى.

كانت هدايا آرون مختلفة الأنواع. قلم ذهبي حفر عليه اسمه من جيليان، محفظة من جلد التمساح من جيرالد، طبعة لأحدث كتب طوم كلانسي ذات غلاف سميك من كريستين.

قال كرايغ: «ماذا أهدتك سيرينا؟ أو ربما يجب أن لا أسأل.»

لم تكن سيرينا معتادة على تلك التلميحات، لكن بعد ما قاله آرون، شعرت بانزعاج شديد.

اجاب آرون بهدوء: بما اننا الآن نجدد معرفتنا ببعضنا البعض، لم اكن انتظر منها أن تشتري لي شيئاً، ان سعادتي برفقتها هي هدية بحد ذاتها.»

هتفت كريستين: «آه يا والدي، هذا رائع.»

علّق كرايغ: «دائماً شاعري.»

بينما قال جيرالد: «أعتقد بأنكم أخجلتم الفتاة.»

ضحكت جيليان: «هذا هراء! سيرينا فتاة ناضجة، ولا تخجل بسهولة هكذا، ألست كذلك يا عزيزتي؟»

قالت سيرينا محددة: «اعتقد أن الخجل هو مرتبط بعض الشيء بعمر الانسان، إلا انني لست معفية كليّاً.»

وجّهت لكرايغ نظرة باردة قبل أن تستدير لتنظر إلى آرون بنظرات حادة وهي تقول: «لا أحب أن أفسد عليكم هذه الجلسة، إلا انني تعبة...»

رفع حاجبيه وقال: «أبدو وكأنني أعيد ساندريلا إلى البيت. حسناً، في أي وقت سألتقيك أنت وكريستين في المنزل غداً؟ هل الساعة الرابعة تناسبك؟»

اتفقا على الساعة الرابعة، وخلال خمس دقائق كانت سيرينا تجلس في مقعد السيارة وكانا في طريقهما.

بعد خمس دقائق أخرى، كان الصمت لا يزال سائداً بينهما، ثم بدأ آرون بالكلام أولاً.

«لقد فهمت صمتك، يعني بأنني لن أدعى إلى منزلك هذه الليلة؟»

اردفت بسرعة: «لقد فهمت الأمر جيداً.»

«لماذا؟ بسبب ما قلته، أو لأنك قررت بأنك تفضلين كرايغ أكثر؟ أو هل أخبرك بأنه مطلق بينما كان يثرثر معك على المائدة؟ تسعين لتوقعي به في ما بعد، أليس كذلك؟ ألهذا السبب غادرنا باكراً؟»

حاولت سيرينا بصعوبة تصديق ما سمعته فأجابت: «غادرنا باكراً، لأنك أصبحت عدائياً بشكل لا يطاق، ليس لأي سبب آخر.»

نظر آرون إليها بغضب وقال: «لا تحاولي اخباري بأن كرايغ لن يحاول المجيء إلى منزلك بعد العشاء أو انك لم تحبي ذلك.»

تنهدت سيرينا بعمق وأجابت بعبوس: «كرايغ لم يكن قادماً إلي وأنا لا أحب ذلك، إذا اردت أن تعرف، فأقول لك بأنه تصرف بسخافة كالمعتوه، وأعلمته بأنه إذا أعاد الكرة فسأضربه على عظام ساقيه وأرمي بالعصير على وجهه.»

ذهل آرون كلياً بشأن ذلك.

انفجر ضاحكاً وهو يقول: «آه، أحب ذلك. أنا فعلاً أحب ذلك!»

أكدت له: «حسناً، أنا لا أحب ذلك، وأجد هذه الأمور

مزعجة جداً. كما انزعج من الرجال الذين ينظرون إلي وأنت أيضاً من ضمنهم، يا آرون، لذلك أتوقع أكثر من ذلك منك. أنت تحاول أن تكون شخصاً ذكياً ونزيهاً، أو هذا ما اعتقده دائماً. أرى بأنني كنت مخطئة.»

أصبح وجهه جدياً عندما قال: «انظري، أنا آسف، يا سيرينا. حقيقة أنا آسف، واعترف بأنني كنت مذنباً ببعض ما اعتقدته تجاهك، ولا يعني ذلك انك لم تحاولي شدي إلى ذلك الليلة! بالطبع... هذا لا يعني بأن...»

استدارت نحوه بعينين متقدتين وحذرته: «كلمة أخرى وسأنزل من السيارة!»

الفصل الخامس

وصلا إلى البيت بصمت، وعندما اوقف محرك السيارة استدار نحوها. دهشت سيرينا فقد وجدته غير منزعج، وبدت ابتسامة فرحة على وجهه. «حسناً، يا سيرينا؟ افهم انني لست مدعواً لتناول القهوة عندك.»

اخذت نفساً عميقاً وتمالكت نفسها لتبدو قوية وعاقلة: «ليس الليلة ولا أية ليلة أخرى يا آرون. لا اريد ان استمر بملاقتك على مستوى شخصي، فلكل منا اهداف مختلفة في الحياة.»

لم يتفوّه بشيء لعدة ثوانٍ، ثم قال بصوت متوتر: «لا اوافقك الرأي، الا انني لا احب ان اناقشك في مثل هذه الساعة المتأخرة، سنتحدث غداً مجدداً عندما آتي لاصطحاب كريستين. ومهما يكن، فأنا اصر على ان تدعيني اراك بسلام.»

شعرت بالخوف على الفور، وقالت: «ليس هناك من داعٍ، صدقني...»

قال بحزم: «أنا أصر على ذلك. المنزل مظلم وأنت تعيشين بمفردك في منطقة هادئة. ولن اطمئن تماماً إلا عندما اتأكد بنفسي من عدم وجود احد في البيت.»

حاولت الاعتراض مجدداً، لكنه كان قد نزل من السيارة. سارا معاً نحو الباب الخارجي، فشعرت سيرينا بأنها مقيدة. حين أصبحا في الداخل تحقق من البيت بكامله، ثم عاد إلى حيث ما زالت واقفة في مدخل القاعة الذي أضيء

للتو. ذهلت سيرينا عندما وصل ودفع الباب الخارجي بقوة خلفها.

سألته بارتجاف: «ماذا... ماذا تعتقد نفسك بفاعل؟ لقد اقترحت عليك سابقاً بأن علينا ان نعرف بعضنا البعض اكثر. انت لست مهتماً بالتعرف اليّ على الاطلاق.»

بدا غاضباً حين قال: «أنت مخطئة يا سيرينا.»

جادلته بارتعاش: «لا، لست مخطئة، الاشخاص الذين يريدون صداقات حقيقية يطرحون الاسئلة. وايضاً يتحدثون عن أنفسهم، يخبرون شريكهم المنتظر عن ماضيهم، مشاكلهم، آمالهم للمستقبل. أما أنت فلا، لأنك لا تخطط لأي مستقبل يجمعنا معاً.»

أظلم وجهه باتهامها: «ليس الأمر كذلك يا سيرينا، السبب الوحيد الذي منعني من التكلم عن الماضي هو لأنه مؤلم جداً. إذا كان هذا سيغير شيئاً فسوف احدثك به.»

تابع كلامه، وتعابير وجهه محبطة. خطى نحو نهاية القاعة، ثم استدار بسرعة وعاد اليها وهو يتكلم طوال الوقت: «هل تعتقدين بأنني حظيت بزواج سعيد؟ هل تعتقدين بأنني اردت الزواج وأنا ما زلت في سن الثامنة عشرة؟ ناومي خططت للايقاع بي. لكن فيما بعد ولدت كريستين، فكان هناك، مخلوقاً بشرياً صغيراً، وقد احببتها. تبّا لهذه الكارثة! ناومي كانت...»

وقف أمامها، ومرر يديه الاثنتين بين خصلات شعره بحركات مضطربة: «اسمعي، أنا آسف، لكنني فعلاً لا أشأ ان اتكلم عن التفاصيل الماضية؟ فناومي توفيت. ما الهدف الذي قد نحققه من استرجاع الماضي؟ فأنا اريد التكلم عن المستقبل واريدك أنت في هذا المستقبل، يا سيرينا.»

رفع يداه ليمسك كتفيها، فاجفلت، الا انه لم يأتِ بأية حركة اخرى.

تابع كلامه بصراحة اعجبتها: «أنا أريدك، اريدك بشدة، لكن ليس هذا فقط ما اكنه في مشاعري تجاهك. اعتقد انك فتاة عظيمة ومعجب بك. فأنت فاتنة، ذكية ورفقتك مسلية. في الحقيقة انك تتميّزين بكل الصفات التي احبها في المرأة حتى الآن. رصينة للغاية ولا تريدين ان تكون حياتك سلسلة من الصداقات المؤقتة. ولا أنا ايضاً، لا اريد ان اؤذيك، سأكون لطيفاً معك، فلا تتركيني.»

ثم اضاف بلطف: «أنا بحاجة إليك يا سيرينا.»

أحست بميل شديد إليه. كيف بامكانها التخلي عنه؟ كيف؟ لطالما ارادت ان يحتاج أحد إليها كارادتها دوماً في ان تحظى بالحب.

لكن الموافقة على صداقة حتى ولو كانت هذه الصداقة طويلة الأمد، يعني بأن تترك جانباً حلمها بالزواج وبناء أسرة...

عجلت في كلامها: «أنني... بحاجة إلى وقت اطول، أنا فقط لا اعرف.»

حدقت سيرينا في وجهه الباسم بلطف وشعرت بقلبها يخفق بشدة، وفجأة انجلى كل شيء وأصبح صافياً.

اخيراً عرفت سيرينا بأنها لم تعد بحاجة لمزيد من الوقت كي تقع بحبه. فالحب الذي بدأ منذ ان كانت تلميذة ومضى عليه السنين الطوال قد اصبح حباً ناضجاً، مليئاً بكل المشاعر والأحاسيس.

لدهشتها الكبيرة، لم يكن هناك أي شعور يحمل تهديداً بالهلاك مع اعترافها بحبها. شعوراً بالأمان، وبالقيام

بالعمل الصحيح. آرون كان دائماً رجل أحلامها، الآن وقد أتتها هذه الفرصة معه لم تكن تريد ان تدعه يذهب.

سألته: «ألا نستطيع الخروج معاً لفترة قصيرة فقط، من دون ان يكون لك هدف ما؟»

فقال آرون بسخرية: «اعتقد بأن علينا المحاولة. لكني لا استطيع تقديم أية ضمانات. صدقي أو لا تصدقي، فأنا لم اكن مصمماً على اطالة النقاش. كنت بصراحة اخطط لرؤيتك في الداخل بسلام فقط.»

تابع قائلاً: «يا للتعاسة، انظري إلى الوقت! الساعة تجاوزت الواحدة. سأكون منهكاً من التعب في الوقت الذي أصل فيه إلى سيدني الليلة.»

كانت سيرينا مذهولة بالتغيير المفاجيء للموضوع، إلى ان اقتنعت بأن آرون يريد الذهاب بسرعة، وفكرت كم الأمر غريب.

سألته بينما كانا يهبطان السلالم معاً: «أنت... لن تبقى عند جيليان؟»

«وأواجه ازدحام السير في الذهاب من هنا صباح الاثنين؟ مزعج، لقد انتهت المدرسة، اتذكرين؟ هذه عطلة الموسم. من الأفضل ان اعود الليلة. علي ان اسرع واعود في اسرع وقت.»

«اين تقع شقتك.»

«دوبل باي.»

عبّرت باعجاب: «طبقة رفيعة جداً.»

قال لها: «لا تذهبي بعيداً بخيالك.» وتوقف عند الباب الخارجي: «انها من املاك الشركة، تم شراؤها لاستثمار

الأموال ولاسكان العمال. انا لا اخالط السكان المحليين.»

«لقد وصلت إلى هناك بمخيلتي، مفكرة إذا ما كان بمقدوري القيام بزيارة إلى سيدني والتحدث مع الطبقة الراقية فيها.»

ضحك ثم قال: «اعتقد انه من الأفضل تأجيل اي زيارة لشقتي لأسبوع آخر؟»

شعرت بالخجل بينما عرضت عليه قائلة: «سأعد لك عشاءً هناك في ليلة ما من الأسبوع المقبل.»

لمس انفها بلطف قائلاً: «نكية.»

وقبل ان يخطو من الباب الخارجي تحقق قائلاً: «غداً في الساعة الرابعة، اليس كذلك؟»

«أجل.»

ثم قال محذراً: «لا تنسي ان توصدي الأبواب.»

بعد ان اختفى عن انظارها، دخلت وأقفلت الباب.

أمضت وقتاً طويلاً جداً قبل ان تستغرق في النوم في تلك الليلة.

الفصل السادس

استقلت سيرينا القطار إلى غوسفورد صباح الاثنين، فقد قررت عدم المجازفة وأخذ كريستين على الدراجة النارية ولو لمسافة قصيرة جداً، بعدما رأت ردة فعل جيليان بالنسبة للدراجة النارية. سارت باتجاه المقعد قرب المكتبة، حيث كانت ابنة آرون موجودة هناك تقرأ في الكتاب.

«كريستين؟»

أغلقت الفتاة الكتاب بسرعة مما برهن عن حسن تصرفها ووقفت، بدت فرحة وخجولة في الوقت نفسه. ثم هتفت: «آه، لقد أمسكت بي وأنا اقرأ في الكتاب الذي سأهديه للعم جيرالد في العيد، لقد اشتريته منذ بضع دقائق.» وأرجعت الكتاب إلى الكيس البلاستيكي الخاص بالمكتبة.

طمأنتها سيرينا: «لا تقلقي، أنا افعل ذلك دائماً، اشتري الكتب كهدية لكنني اقرأها أنا اولاً. لن أخبر احداً إذا أردت.»

ضحكت كريستين: «افهم أنك لست من جيل العمة جيليان، إنها مخيفة. آه، تبدين رائعة! أحب ما ترتدين.»

كان القميص من تصميم المصمم كين دون. وأما البنطلون فقد كان من الجينز الأزرق الثابت لكنه عصري.

«شكراً، وأنت ايضاً جميلة. الآن وقد قمنا بتبادل الاعجاب فيما بيننا، هل سنتمكن من اختيار هدية لوالدك؟»

«اتمنى ذلك، لكنني لا اعرف حتى من اين أبدأ. انني تائهة تماماً.»

«كم احضرت معك من النقود لدفع ثمن الهدية؟»

«استطيع أن أدفع في حدود الخمسين دولار.»

اقترحت سيرينا: «ما رأيك بقميص؟ تستطيعين الحصول على قميص جيد بخمسين دولار.»

هزت كريستين رأسها. «على الأرجح لا، لقد اشتريت له واحداً السنة الماضية لم يرتديه مرة، فذوقي مختلف عن ذوقه.»

«آه... فإذن ما رأيك بكتاب؟ لا، قدمتِ له واحداً بمناسبة ذكرى مولده، أليس كذلك؟ وايضاً لن نهديه اقلاماً ومحافظ. هل يدخن؟»

«لا.»

«والدك رجل مستقيم، أليس كذلك؟» قالت ذلك بشيء من السخرية.

ضحكت كريستين واجابت: «له عيوبه، صدقيني.»

بدأتا بالمسير إلى المحلات القريبة، فقالت سيرينا: «مثل ماذا؟»

«حسناً، إنه عديم الصبر معي عندما احصل على علامات منخفضة في مادة الرياضيات. لا يبدو بأنه قادر على تفهم سبب عدم تمتع كل الأفراد بمثل ذكائه. فهو يقول ان الرياضيات ليست إلا منطق.»

«الأشخاص الأذكياء دائماً هكذا.» علقت سيرينا، وقد

تذكرت بأن شقيقيها كانا متفوقين في مادة الرياضيات.

«آه، لكن يجب ألا تتكلمي هكذا؟»

«مثل ماذا؟»

«وكأنك لست ذكية، أنت ذكية! انظري كم تعرفين عن الموسيقى، الطعام والهدايا.»

امتلأ قلب سيرينا بالسرور وقالت ممازحة: «سيصيبني الغرور إذا تابعت هذا الكلام، يا كريستين، لست جميلة، بل ارتدي الثياب الرائعة، هل تعتقدين بأنني يجب أن اترشح لمنصب رئاسة الوزراء؟»

«سأصوت لك إذا فعلت، ووالدي سيفعل ايضاً.» وهذا ما جعل سيرينا تضحك.

أضافت الفتاة باهتمام كبير: «إذن، تعالي نفكر بالأمر. اعتقد بأن والدي يحبذ أن يكون رئيساً للوزراء، عليك أن ترضي بلقب السيدة الأولى. نعم، قد تعجبني هذه الفكرة.»

ضحكت سيرينا وقالت: «صحيح؟ وما الذي سيفيدك من ذلك؟»

«يصبح لدي شقيقة، اتمنى ذلك.»

«شقيقة؟»

«حسناً، إذا تزوجت من والدي، فسوف بالتأكيد تنجبين طفلاً. فأنت شابة وصحتك جيدة و...»

«كريستين.»

«نعم؟»

توقفتا في وسط الرصيف تحت القناطر امام المحال الكثيرة هناك. ما أقلق سيرينا هو ان كريستين تبني آمالاً

وهمية حولها وحول والدها. فهي أي سيرينا تتسم بالواقعية، بالرغم من كونها تريد يائسة أن تكسب حب آرون وبالتالي تغيير رأيه بشأن الزواج مرة أخرى. لا تجري الرياح بما تشتهيه السفن ولا تأتي الأمور دائماً كما يتمناها المرء. قالت بهدوء: «لا اعتقد أنه من الأفضل أن تشتري فستاناً للعرس منذ الآن.»

«لم لا؟ ألا تريدين الزواج من والدي؟ ظننت بأنك تحبينه فعلاً.»

«بالطبع أحبه! أنا... أحبه كثيراً، لكن...»

قالت كريستين بحماس: «هو ايضاً يحبك، اشعر بذلك، فهو لم يستطع أن يبعد نظراته عنك الليلة الماضية عمي جيرالد وعمتي جيليان لاحظا ذلك أيضاً.»

تنهدت سيرينا بصوت مسموع.

قالت كريستين بعبوس: «أتكهن بأنك تعتقدين أن الزواج من جديد لا زال مبكراً جداً بعد وفاة والدتي. لقد مضى سنة على هذا الأمر ووالدي ما زال شاباً ووسيماً. إضافة إلى ذلك، سأنهي دراستي المدرسية بعد سنتين وحتماً سأذهب إلى الجامعة. سيكون والدي بحاجة لأحد او سيبقى وحيداً بشكل مؤلم. أنا اعرف بأنه سيكون كذلك! إلا أنني لا استطيع أن أتصور أن تصبح إحدى عجائز عمتي جيليان زوجة والدي، فهو مجرد التفكير بهذا يشعرني بالغثيان، أنا أريد فتاة شابة وممتعة مثلك. إمرأة تدخل بعض المرح في حياة أبي. فهو يبدو تعيساً منذ فترة طويلة.»

«لكن يا كريستين، والدك قال انه ليس عازماً على الزواج ثانية، هو من أخبرني بذلك.»

أجابت كريستين غير مبالية بهذه الحقيقة: «لا تهتمي لما يقوله والدي بخصوص أمور كهذه. فعمتي جيليان تعتقد بأنه لا يعرف ما يريد حتى الآن، وهذا الأمر الوحيد الذي أوافقها الرأي فيه. كل ما يحتاجه هو من يدفعه نحو الإتجاه الصحيح، لكن ليس مع مطلقة عجوز مخادعة. أنت ستكونين أفضل بكثير من جميع النواحي.»

فكرت سيرينا بأنهم بالتأكيد لا يعرفون آرون جيداً. إنه رجل من النوع الذي إذا ما دفع باتجاه ما، يذهب في الإتجاه الآخر فقط لمجرد العناد.

قالت بسرعة: «أظن بأن يجب علينا أن نذهب لشراء هدية العيد. لقد عرفت ما يمكن اختياره.»

بدا بريقاً في عينيها البنيتين الكبيرتين وهي تقول: «عرفت؟ ما هو، ما هو؟»

أمسكت بذراع الفتاة المنفعلة لتسيرا داخل حشد من المتسوقين للعيد وقالت: «المشاهدة تغني عن الف اختيار.»

«آه، أنت مزعجة!»

قطبت سيرينا جبينها. هذه الفتاة معتادة على التفوّه باشياء لا تدرك معانيها.

«هل تفوهت بشيء خاطيء؟»

«لا ابداً، لقد وصلنا إلى المكان المناسب.»

كانتا امام واجهة محل لبيع أشياء للذكرى، يوجد فيه كل انواع الأدوات والهدايا الاوسترالية. سألت كريستين، وهي تبدو غير واثقة: «لن تشتري له دباً كوالياً، هل ستفعلين؟»

«هذه السنة لا. تعالي. لقد مررت الأسبوع الماضي بهذا المحل ووجدت فيه مناشف فاخرة للسباحة عليها رسوم رائعة لأمواج الشاطىء الصخري، لقد قلت إن والدك يحب الشاطىء أليس كذلك؟»

«أجل.»

سألت سيرينا البائعة عن المنشفة فجلبتها بسرعة وقالت: «ها هي.» ثم بسطتها على الطاولة.

قالت كريستين بحماس: «أوه، إنها رائعة! لكن...» ثم تجهم وجهها.

سألتها سيرينا، مندهشة: «لكن ماذا؟»

«ثمنها سبعين دولاراً...»

«سأعطيك العشرين دولاراً الباقية.» قبل عدة ايام، لم تكن سيرينا قادرة على تقديم مثل هذا العرض حتى ولو كانت ترغب بذلك. فهي لا تتمتع ابداً بميزانية جيدة، وانفقت عشر مدخراتها لنفقات المأتم. لكن اثبات صحة الوصية قد أعلن يوم الأربعاء الماضي، ومع حلول يوم الجمعة يتحول إلى حسابها مبلغ اربعة آلاف وخمس مائة دولار وذلك من حصتها من مدخرات والدتها في المصرف.

اعترضت كريستين: «لكنني لا استطيع أن ادعك تفعلين ذلك، أن ابي يمانع جداً من أخذ مالاً من الناس. فهو سوف يقتلني!»

«لا، لن يفعل.» تقدمت سيرينا وانتزعت ملصق السعر عن المنشفة قائلة: «لن يعرف ابداً. غلفيها، من فضلك. الآن، سنختار بطاقة نرفقها معها...»

«عظيم أن يكون المرء واثق من نفسه لهذه الدرجة مثلك.» قالت كريستين ذلك متنهدة بعد أن غادرتا المكان.

«لا أحب أن ادعوك بالفتاة الخجولة يا عزيزتي!»

فكرت سيرينا بتعليق كريستين، كانت فخورة بثقتها بنفسها، والأكثر من ذلك الهدية لم تكن عادية وآرون سوف يحتاجها.

قالت كريستين: «اعرف بأنني لست فعلاً خجولة، لكن احياناً اشعر بأنني لا اعرف ما افعل ولا كيف اتصرف ومن ثم ابدأ بالثرثرة، كما أنا الآن.» بدت ذليلة وهي تضيف: «انت لا تثرثرين ابداً.»

ابتسمت لها سيرينا ابتسامة متفهمة: «عليك أن تتذكري، يا كريستين بأنني في الثامنة والعشرين. عندما كنت في سنك لم اعرف ما معنى الثقة في النفس، في الحقيقة كنت خجولة جداً»

«آه، لا اصدق ذلك!»

«إنها الحقيقة، اؤكد لك. الناس يتغيرون مع الوقت.» ثم توجهت بتفكيرها إلى آرون للحظة وتمنت أن يكون ذلك صحيحاً، بأن يتغير هو الآخر.

«تعالي، لندخل إلى هنا ونأخذ شراباً بارداً.»

دخلتا إلى مطعم صغير وطلبتا كوبين من الشكولاتة بالحليب ثم جلستا.

قالت كريستين بعد بضع رشفات من الشراب: «اخبريني يا سيرينا، هل برأيك أن هذه التسريحة تناسبني؟ لقد أحببت أن أقصه ثم أجعده وأصبغه باللون الأشقر. لكن والدي يمانع.»

فقالت لها سيرينا مواسية: «حسناً... لقد رأيت عدة فتيات لهن نفس لون شعرك حاولن صبغه باللون الأشقر، فكان شكلهن رهيباً. لذا أنا لا أنصحك بالصبغة إلا أنه بالطبع ما من شيء يمنعك من قصّه تجعيده لكن... أنا بصراحة لا انصحك بذلك.»

«لم لا؟»

«لقد قصصت شعري قصيراً جداً في إحدى السنوات فقد كانت الموضة عندئذٍ كذلك، في ما بعد كرهته! لكن، كان قد فات الأوان، ثم انتظرت ثلاث سنوات إلى ان نما من جديد، وانا خلال ذلك اشعر بالندم والتمزق، بعدها عاهدت نفسي بألا أقصه مرة أخرى.»

«إذن ماذا عن التجعيد؟»

اعطت سيرينا الأمل لوجه الفتاة الجميل، قائلة: «لديك وجه صغير، يا كريستين، وشعر كثيف جداً. والتجعيد سيضاعف حجمه وسوف يغمر عيناك اللطيفتان كلياً.»

«آه.» لقد كان هناك خيبة أمل في هاتين العينين الجميلتين.

«أنا واثقة من أن الفتيات اللواتي جعدن شعرهن وأعجبت بهن، لهن في الأصل شعر خفيف. وعلى الأرجح أملس، فيحتجن لذلك أما أنت فلا. كريستين، لك أجمل شعر رأيته في حياتي وأكره أن أراه مفسداً.»

ومضى بريق من السعادة الحقيقية في عينيها مما جعل وجنتاها تتوردان. «أأنت فعلاً تعتقدين بأن شعري جميل؟»

«إن كلمة جميل لا تكفي. انه رائع!»

«كان لوالدتي نفس نوعية شعري.»

قالت سيرينا بلطف وقد خشيت من أن الكلام عن والدتها قد يربكها: «كانت والدتك امرأة جميلة المظهر.»

«أجل، كانت كذلك، ألم تكن؟» كانت متجهمة الوجه، مما زاد من مخاوف سيرينا. تمنت لو أنها لم تتكلم بهذا الموضوع من الأساس.

قالت كرستين بتأمل: «أنا لم أقل ذلك ابداً لأي كان من قبل، إلا أنني لا اعتقد بأن والديّ كانا زوجين سعيدين. لا أعني بأنه لم يكن يحبها. فأنا واثقة بأنه أحبها. لقد كان مدهشاً في معاملته لها عندما كانت مريضة. خيالي ولطيف وكل شيء، لكن... آه، لا اعرف..» اطلقت كريستين تنهيدة متعبة.

شعرت سيرينا بالأسف من أجل الفتاة، وارادت أن تساعدها لتتخلص من أحزانها فقالت: «لا اعتقد بأنه يجب أن تستائي لعلاقة والديك يا كريستين، فلا شيء كامل. أنا أعرف ذلك منذ أن كنت طفلة غالباً ما كنت أتساءل لما بقيت والدتي مع والدي، الذي كنت أجده رجلاً مغروراً وصعب المراس. أما الآن فقد عرفت بأن الذين يحبون يتغاضون عن عيوب بعضهم البعض بدافع حبهم. فوالدك لما كان قد بقي فترة طويلة مع والدتك لو أنه غير سعيد.»

«أظنك على حق.»

«اعرف بأنني على حق. الآن، ماذا عن شراء هدايا العيد الباقية؟ هل قرّرت ما تريدين اهداءه للباقين؟»

ابتسمت: «نعم، لقد اشتريت كتاباً للطبخ لعمتي جيليان. هل تعتقدين بأنه سيعجبها؟» انحنت لتلتقط من الكيس

الخاص بالمشتريات بجانب الكرسي كتاباً خاصاً للطبخ بحفلات العشاء.

«اعتقد بأنه سيعجبها. حسناً، لقد انتهيت من شراء هداياك وباستطاعتك الآن ان تأتي وتساعديني بشراء الهدايا لشقيقي الناكري الجميل وزوجتيهما.»

«الديك اشقاء؟ آه، أنا أحب أن يكون لي شقيق.»

«لكن ليس كشقيقي، فلن تحبينهما.»

ضحكتا معاً.

تمتعت سيرينا كلياً ذلك الصباح بمجيء كريستين معها لشراء الهدايا لروبرت وفيليب. اشترت لروبرت منبهاً بشكل طابة تقذف إلى الحائط فيتوقف الرنين، اعتقدت بأن ذلك يتناسب ومزاجه السيء. أما فيليب فستصله أدوات خاصة بلعبة الغولف للمتدربين. لقد كان عملاً خبيثاً منها، ذلك لأن فيليب هو اسوأ لاعب غولف في العالم. أما زوجتيهما فلا تستحقان اكثر من زجاجة عطر، وقد اعلنت ذلك لكريستين التي ضحكت كثيراً لذلك.

اشترتا كل ما يلزمهما، واقترحت سيرينا الذهاب إلى مكتب البريد، لأنها عزمت على التخلص من الهدايا بواسطة البريد السريع. كانت سيرينا تذهب عادة إلى سيدني لتقديم الهدايا لهم بنفسها، لكن ليس بعد ان سببوا لها الكآبة في الاجازة بشكل قاسٍ.

لكن مع وجود حشدٍ من الناس امام باب ذلك المكتب، فلم يكن هناك أي بريد سريع. فكل فردٍ كان يرسل ستة مائة بطاقة خاصة بالعيد إلا أن ذلك ذكرها أن ترسل بطاقة معايدة لبول، لذا بينما هي تنتظر دورها بصبر ارسلت

كريستين لتشتري البطاقة وكانت هذه عادت قبل ان تخطو سيرينا بضع خطوات.

مع الوقت الذي خرجتا من مكتب البريد كان الجوع قد تمكن منهما، فدعتها سيرينا إلى وجبة غداء متأخرة. بعدها استقلتا القطار عائدتان إلى منزل سيرينا وهما متخمتان من البيتزا والشراب المنعش. كان الطقس حاراً ورطباً في فترة بعد الظهر ذلك اليوم، الغيوم الصباحية قد تبددت، وقد كان التعب قد نال منهما كل مأخذ في صعود تلك التلة التي تؤدي إلى المنزل، لتجدا آرون جالسا في سيارته، وقد بدا عليه الإنزعاج والشعور بالحر في بذلته الرمادية المؤلفة من ثلاث قطع.

اعترضت كريستين عندما نظر والدها إلى ساعته. «انها ليست الرابعة بعد، بل فقط الثالثة وخمس وخمسون دقيقة.»

«ما الذي بين والدك والوقت يا كريستين؟» تذمرت سيرينا، مع أن رؤيته قد أسرعت دقات قلبها، الا أنه يبدو رائعاً حتى عندما يكون متعكر المزاج!

«آه، انها عادة خاصة بوالدتي، وأعتقد بأن والدي قد التقطها، كما يلتقط المرض.»

«توقفا عن التهامس بشأني.» تذمر آرون عندما أصبحتا بقربه. إلا أنه غمز بعينيه لسيرينا خلسة.

اشاحت بوجهها بعيداً عنه وقد كانت على وشك ان ترد الإهانة، عندما هتفت كريستين وبدأت بالركض عبر الممر الخارجي وهي تثرثر كالمعتاد. «هل هذا هو البيت؟ آه انه رائع يا والدي أحب كثيراً النوافذ البيضاء. فهي تجعل البيت

يبدو كبيوت الألعاب. وانظر إلى ذلك الفناء الواسع! لا يوجد اشجار فيه، انظر؟ يجب أن لا تحزن لعدم وجود حوض في الفناء الخلفي. انظر، تستطيع عمل فناء هنا ووضع زهور في مقدمته، فأزهار مادلين بارسون في مقدمة الفناء تبدو رائعة!»

نظر آرون إلى سيرينا بسعادة، ثم قال: «يبدو وكأنك ستبيعين المنزل.»

«هل أنت جاهز لدفع ما سأحدده؟»

كانت ابتسامته ساخرة حين أجاب: «في هذه اللحظة بالذات أرجح أن ادفع ضعف المبلغ الذي ستحددينه.»

سيطر عليها شعور مفاجيء من الاضطراب وبدا ذلك بوضوح على تقاسيم وجهها، فقال لها بصوت أجش: «أنت لم تبدلي رأيك، أليس كذلك؟»

تمالكت نفسها وقالت بصوت هادىء: «لا... في الواقع... قررت أن لا انتظر اسبوعاً آخر.»

نادتهما كريستين: «تعالا، والدي... سيرينا، أريد أن أرى غرفتي!»

أمسك بذراعها ورافقها باتجاه البيت، وقال لها بينما هما يسيران: «إذن، أنت تفاجئينني دوماً، هل افهم بأنه بامكاني البقاء الليلة؟»

الليلة؟ بدا كل كيانها معترضاً لهذه السرعة. لم تكن تدري قبل تلك اللحظة بأنها بحاجة إلى وقت اكبر. يوم او اكثر على الأقل، لذا قالت بثبات لم تشعر به ابداً: «ليس الليلة، يا آرون، فلدي عمل، اتصل بي غداً خلال النهار وسنضع خططنا.»

تنهد، ثم نظر اليها باعجاب وقال: «انك سيدة ممتعة الرفقة، ومستقلة جداً في الوقت نفسه.»

اعترفت قائلة: «هذا صحيح، فقد عشت بمفردي لفترة طويلة.»

«أين ستسكنين إذا ما اشتريت انا هذا البيت؟»

خفق قلب سيرينا وقالت بتلعثم: «انني... انني غير متأكدة.» كانت تكره مغادرة البيت. تباً لشقيقيها الأنانيين! فكرت بغضب مرير. فهما ليسا بحاجة للمال، وبقاؤها هنا في المنزل يعني لها الكثير بعد سنين من التشرد من مكان لآخر من دون جذور حقيقية.

فقال آرون مطمئناً: «لا تستائي، «سأساعدك في العثور على مكان جميل صغير وقريب من هنا، حيث بإمكاننا ان نرى بعضنا البعض قدر الإمكان.»

حاولت سيرينا أن لا تؤثر عليها كلماته، لكن لِمَ لا يريدها أن تعيش معهما، لقد كافحت لأن تشاركه حياته وحياة ابنته؟ لما يريدها منفصلة وبعيدة.

لما لا يطلب الزواج منها؟

لم تكن المرة الأولى التي تتساءل فيها سيرينا كيف كان زواجه، وإذا ما بقي حبه لناومي قائماً حتى بعد الزواج. لا يبدو كذلك. لكن ما السبب الذي يجعله يرفض الزواج بشدة؟ لقد أبدت كريستين بعض الشكوك بالنسبة لسعادة والديها هذا اليوم. حتى آرون نفسه بدا مهموماً في الليلة الماضية عندما تحدث باختصار عن الموضوع، حتى ان ردات فعله منعت سيرينا من توجيه المزيد من الأسئلة المباشرة.

مع ذلك فإن الأجوبة على موقفه الحاضر تتعلق بشكل ما بزواجه السابق. ربما في وقت ما ستكون قادرة على جمع كل احجية هذا اللغز ببعضها البعض. وإلى ذلك الحين، عليها فقط ان تثق بنفسها بالنسبة لآرون، فهو رجل لطيف وعليها أن تصدق ادعاءه بأنه لا يريد ايذاءها ابداً. قالت موافقة على عرضه: «سأحب ذلك.» وتجاهلت تماماً الشكوك التي لا زالت تراودها.

الفصل السابع

أحبت كريستين غرفة النوم الزهرية، أحبت البيت، أحبت كل شيء، وأصرت على والدها أن يشتريه في أي حال من الأحوال. ضحك آرون وأخبرها بأن عليه إعلام محاميه في الصباح وإتمام العقود بسرع وقت ممكن. إلا أن ذلك لم يرضِ كريستين. اخيراً اتصل آرون بمحاميه من البيت لجعل الأمور تسير بسرعة، ثم اتصلت سيرينا بشقيقيها وابلغتهما بأمر البيع.

وضع آرون شرطاً واحداً، وهو أنه سيدفع المبلغ الذي يطلبونه بشرط ترك الأثاث في المنزل، استغربت سيرينا، لا بد انه تخلص من كل الأثاث الذي احتاجه عبر سنين زواجه عندما باع بيته، الا أنها لم تعلق بشيء بعد ما اخبرها به الليلة الماضية، وما سمعته من كريستين اليوم. لقد بدأت تصدق بأن زواجه من ناومي لم يكن زواجاً سعيداً بالنسبة لذلك الحب الكبير الذي جمعهما، الا الآن باتت تعتقد بأنه لم يكن أكثر من مجرد كابوس.

روبرت وفيليب كانا سعيدان بشأن البيع، حتى انهما تذكرا أن يتمنيا لسيرينا عيداً سعيداً قبل حلول العيد. لقد تلطفا وعرضا عليهاان تزورهما في يوم ما بعد عودتهما من رحلتهما، لكن ذلك لم يخفف من مشاعرها المجروحة ابداً.

عندما تم انجاز كل شيء، اقترح آرون أن يأخذهما إلى

الشاطىء، لأن الطقس اصبح حاراً بشكل مزعج في الساعة الأخيرة.

بعد مضي ساعة من الزمن كان آرون وسيرينا في مسبح فورستر، وكانت كريستين تبحث عن صديقة لها. العجائز، هذا ما دعتهما به ضاحكة... فيما كانا يجلسان يتمتعان بأشعة الشمس.

كانت سيرينا مصممة على ابقاء بعض السيطرة على الوضع، فهي لا تريد أن يعرف آرون ابداً مدى تأثيره عليها. استاءت. فمثل هذا التأثير قد ينعكس سلباً على اية صداقة.

تنهد بحزن وسأل: «في أية ليلة لا تعملين فيها كي أدعوك إلى العشاء.»

لم يكن هناك أية مشكلة مع الوقت بالنسبة لعملها. فقد التحقت على اساس معين، وبامكانها أن لا تعمل متى شاءت، شرط ان يكون هناك من يحل محلها. وقد وجدت الفتاة المناسبة التي ستقوم بالعمل مكانها وتكسب من ذلك المال بقدر الساعات التي عملتها.

اقترحت: «ما رأيك بيوم الأربعاء.» ثم أضافت مبتسمة: «أو الخميس، أو الجمعة؟ أو الأيام الثلاثة معاً؟ استطيع أن اتوقف عن العمل عدة ايام إذا احببت، لكنني احتاج ليوم الغد كي أضع الترتيبات.»

«رائع! سأدعوك إلى العشاء والسهرة في مساء الاربعاء، ثم ادعوك إلى شقتي كضيفة خاصة للمنزل بهدف الراحة لمدة لأسبوع.»

جاءت كرستين في تلك الأثناء راكضة فوق الرمال وهتفت: «والدي والدي!»

التفتا بذعر وحدقا بالبحر حيث كانت تشير كرستين: «والدي، اعتقد أن ذلك الرجل هناك يواجه المتاعب.»

وقف كل من سيرينا وآرون بسرعة واخذا ينظران نحو الأمواج التي تتكسر فوق الصخور، إلى ان لمحا سبّاحاً يلوّح بذراعه طالباً النجدة.

«اعتقد بأنه يغرق، عليك أن تفعل شيئاً، يا والدي. فلا يوجد أحد من المنقذين في الجوار، بل لا يوجد أي قارب نجاة هنا.»

أسرع آرون باتجاه الأمواج، يغوص في داخلها بسرعة مدهشة.

وقفت سيرينا تنظر بقلق قرب حافة المياه، خفق قلبها بالخوف وهي تراقب آرون، لقد ازداد ارتفاع الموج اكثر في الساعة الأخيرة كما هبّت ريح شمالية قوية. الرجل الذي كان يحاول انقاذه يبعد حوالي مئة وخمسين ياردا تقريباً.

سألت امرأة عجوز احد الأشخاص الذين بدأوا بالتجمع على الفور: «ما الخطب؟»

أجابها فتى: «احدهم يواجه المتاعب، وزوج هذه السيدة قد ذهب لإنقاذه.»

لم تكلف سيرينا نفسها بتكذيب هذا الإدعاء، فقد كانت تركز انتباهها إلى حيث اختفى آرون داخل موجة كبيرة. انه ليس فقط من المحتمل ان لا يكون زوجها، بل ربما خلال الدقائق القادمة، قد تخسر الفرصة نهائياً، فالبحر غدار، والكثير من الناس يغرقون فيه كل سنة.

قالت وهي تدعو بصوتٍ عالٍ: «أتمنى له السلامة من صميم قلبي.»

أضافت كريستين بفخر: «يجب أن لا تقلقي بشأن والدي، فقد كان بطلاً في عمليات الانقاذ في الماضي، وربح عدة مبارات.»

قال أحدهم: «صحيح؟ ما اسمه؟»

«آرون كينغسلي.»

«هاي، تذكرته!»

اخبرت كريستين الجميع: «لقد فاز بلقب الرجل الحديدي الأوسترالي عندما كان في السابعة عشر، وكل سنة من السنوات السبعة التي تلت.»

ذكرتها سيرينا بصوت قلق: «لكن ذلك حصل منذ عشر سنوات.»

قالت كريستين وقد شحب وجهها: «أنت... أنت لا تعتقدين بأنه سيحدث مكروه لوالدي، هل تعتقدين؟»

لمست سيرينا هلع الفتاة فأزالت بسرعة الملامح القلقة من على وجهها واجابت: «بالطبع لا، لقد كان الرجل الحديدي، وسوف يبقى دائماً الرجل الحديدي.» ووضعت ذراعها حول كتفي الفتاة لتعيد الاطمئنان إليها.

«نعم... نعم، بالطبع.»

بقيتا صامتتان باضطراب بينما تشاهدان آرون قد استلزمه وقتاً طويلاً لانقاذ الرجل. فالمسافة بعيدة جداً واستغرق وقتاً طويلاً للعودة، ومن الواضح أنه قد اصبح منهك القوى عندما وصل إلى الشاطىء رافعاً الضحية بين يديه المتحمستين للمساعدة.

«آه يا آرون.» صرخت سيرينا، واسرعت نحوه.

اخذت تحدق به بفائض من الشعور بالأمان والود

فأدركت بأنها تحبه بعمق، بشعور لا يقاوم لدرجة انها تمنت أن تكون زوجته.

قال عندما لمس منها كل هذا الاندفاع: «في كل يوم سأنقذ مجنوناً غبياً، إذا كان ذلك سيجعلك تنظرين إلي بهذه الطريقة.»

تقدمت كريستين، تضمه قائلة: «آه يا والدي، كنت رائعاً! أخبرت سيرينا بأنك ستكون على ما يرام. فقد كانت قلقة عليك، اما انا فلا.» ثم نظرت إلى سيرينا نظرة خجولة وأضافت: «على الأقل ليس كثيراً...»

حاول آرون أن يضحك الا أنه شعر بالاختناق على الفور، فهو ما زال تعباً: «تبّاً، علي أن اقوم ببعض التمارين. أنا فعلاً...»

اكملت سيرينا عنه: «أنت متعب.»

نظر إليها وهمهم: «مرهق، هذا ما كنت على وشك قوله.»

همهمت أيضاً: «اكيد.»

«سأحضر لك منشفة، يا والدي.» قالت ابنته ذلك بينما تقدم احد الفتيان ليقول بدهشة: «آه، يا سيدي، لقد كنت رائعاً!»

أضاف فتى آخر: «بطل! تماماً كما في الأفلام!»

تمتم آرون وهو ما زال متقطع الأنفاس: «ترقبوا، آرنولد شوارزنغر.»

أردفت سيرينا تقول: «ميل غيبسون أنسب، على ما اعتقد، أو هاريسون فورد.»

«هذه المنشفة يا والدي!»

أخذ آرون المنشفة من ابنته، مسح وجهه، ثم لفها حول كتفيه وسأل: «الرجل على ما يرام، أليس كذلك؟»

قالت كريستين. «نعم، بل على افضل ما يرام، لقد استيقظ للتو ويسأل الجميع عن الرجل الذي انقذه.»

اقترح آرون: «لنخرج من هنا، إذن، قبل الدخول في كل ذلك الامتنان الروتيني.»

عبست سيرينا: «عليك أن تدعه يشكرك، فسيشعر بالندم إذا لم تسنح له هذه الفرصة. انظر ها هو قادم.»

«آه، ما هذه الورطة؟»

* * *

«ماذا فعل؟» انفجرت جيليان. بينما اخذت نظراتها تتنقل بين كريستين وآرون وسيرينا، ومن ثم إلى آرون من جديد لتقول: «ايها الأحمق! انت لم تعد شاباً كما كنت، تعلم ذلك جيداً. كان من الممكن أن تغرق!»

«الا أنني لم اغرق. اسمعي، يجب ان استحم وارتدي بعض الملابس الجافة. فأنا اشعر بأنني مبلل تماماً.»

قالت كريستين: «أنا أيضاً، ماذا عنك، يا سيرينا؟»

«سأكون بخير حالما أصل إلى البيت.» كانت تقريباً جافة وقد ارتدت قميصاً طويلاً باللونين الأسود والأبيض. وانتعلت حذاءها الأسود.

كانت سيرينا وجيليان بمفردهما في المطبخ الفسيح، فقالت هذه الأخيرة بمرح: «بعض الرجال يقومون بأمور تؤثر على النساء.»

أجابت سيرينا بصدق: «آرون ليس بحاجة لأن يفعل شيئاً كي يؤثر علي، لقد تأثرت مسبقاً.»

اندهشت جيليان للحظة، ثم ابتسمت: «أنت فعلاً تهتمين بأمره، اليس كذلك؟»

اومأت: «لكن لا تخبريه، فهذا قد يشعرني بالاحراج.»

نظرت إليها جيليان نظرة جادة وقالت: «كم أنت حساسة لتشعري بمثل ذلك الشعور. هل تعرفين؟ اعتقد بأنك الفتاة المناسبة لآرون، لا بل الفتاة الوحيدة. لم اعتقد ذلك عندما قابلتك لأول مرة. اعتقدت انك ربما كنت... حسناً... اعتقدت انك من النوع الذي يلاحق الرجال. إلا أنك لست كذلك. أنت فقط ما يحتاج إليه آرون.»

سألت باهتمام: «ما هو؟»

«المرأة الناضجة فكرياً، سيجدك امرأة مختلفة عن ناومي.»

لم تدع سيرينا هذه الفرصة تفوت عليها لمعرفة أجوبة اكثر بالنسبة لزواج آرون، فقالت: «أخبريني عن ناومي يا جيليان، لقد سألت آرون، إلا أنه لا يريد التحدث عنها، أو عن زواجهما.»

أجابت جيليان: «لا استغرب ذلك، فلقد كانت قاسية إلى حد بعيد، كان حبها له امتلاكياً. هي في الواقع مريضة نفسياً. بالطبع غيرتها جنونية، لم تكن غيرتها عليه كغيرة جميع النساء، بل لكل شيء يسعده او يحبه. غالباً ما كنت اعتقد بأنها ارسلت كريستين إلى مدرسة داخلية كي تبعد الفتاة عن البيت، وهكذا يبقى آرون لها وحدها.»

قالت سيرينا بدهشة: «لكن... ذلك رهيب!» وهكذا توضحت لها بعض اجزاء اللغز.

دخل آرون في تلك الأثناء إلى المطبخ وقال: «ما هو الأمر الرهيب؟»

«ثمن الشراب، يا عزيزي.» اجابت جيليان بسرعة، ونظرت إلى سيرينا نظرة ذات معنى.

أردفت سيرينا، وقد اعجبت بسرعة بديهة جيليان: «نعم، كنت على وشك أن اقول بأنني استطيع تحضير عصير الفاكهة لكم جميعاً، مما يحملنا على معرفة الثمن المرتفع للشراب بشكل عام.»

سأل آرون: «أين جيرالد؟»

أجابت شقيقته: «انه ما يزال في المستشفى، أتبقيا قليلاً لتناول الشاي؟»

قال آرون: «عليّ العودة إلى سيدني، الا أنه بامكاني البقاء لوجبة سريعة.»

«سأحضر الوجبة السريعة!»

استغرق تحضير الوجبة السريعة اكثر من ساعتين، لكن أخيراً أعادها آرون إلى البيت.

قالت بينما وقفت عند الباب الخارجي مقررة عدم السماح له بالدخول: «لقد احببت شقيقتك، وكريستين، بالطبع.»

«هما أيضاً أحبتاك، هذا لم يفاجئني. فأنت محبوبة جداً.» ابتسم ثم اضاف: «هل أنت واثقة من أنك لن تمانعي من أن تستقلي القطار يوم الأربعاء؟»

ابتسمت سيرينا، لقد اعتقدت بأنها اقنعته قبلا بأنه من الجنون ذهابه إلى غوسفورد ليحضرها بعد انتهائه من يوم عمل شاق في المكتب.

«الآن يا آرون، لا تتحامق. فأنا استقل القطار واهتم بنفسي منذ سنوات عديدة، ولا ألقي اهتماماً للعادات المألوفة. لن اتوه ولن اتأخر.» وسأكون هناك عند الساعة السادسة، وبالتحديد على المقعد الأقرب إلى غرفة الاستراحة للسيدات.»

ردد: «الساعة السادسة، سأكون هناك، ادخلي واقفلي الباب جيداً، أرجوك.»

بعد ثوان من تنفيذ ما طلبه منها، سمعت صوت محرك السيارة وهو تبتعد. ألقت بظهرها على الباب، وأخذت تفكر بعمق وصورة آرون كينغسلي لا تبارح مخيلتها.

لقد ادركت الآن لما يتصرف هكذا، كما ادركت أيضاً أنها إذا ارادت أن تكسب حبه، عليها أن تكون عكس زوجته تماماً. أن تعطي، لا أن تأخذ، أن تكون مشاركة، لا متملكة وانانية.

لحسن الحظ، طريقة حياتها جعلتها فتاة مستقلة، متفهمة، الأمر الذي علق عليه آرون وعائلته قبل الآن. كل ما عليها فعله هو أن تبدو دائماً على طبيعتها.

ذهبت سيرينا إلى الفراش تلك الليلة، وبها تفاؤل شديد، ولكنه كان تفاؤل خاطىء، على اية حال، لقد فعلت حسناً في احاطة نفسها بتلك الحواجز، هذا ما جعلها تتذكر أن هناك اشياء كثيرة ما زالت تجهلها عن الرجل.

الفصل الثامن

تحققت سيرينا من ساعة المحطة مجدداً، فقد مرت دقيقتان منذ آخر مرة نظرت إليها فيها، حيث كانت تشير إلى السادسة وست وعشرون دقيقة.

أين آرون؟

لم ترق لها الفكرة من أن يكون قد انتظرها ورحل. إذن أين هو؟ أملت أن لا يكون قد تعرض لحادث ما.

بحثت في الوجوه التي من حولها، المتدفقة من هنا وهناك في المحطة، الناس يدورون في كل مكان، يسرعون إلى الأرصفة ليستقلوا القطارات الكثيرة كل إلى وجهته.

كانت ولأكثر من مرة، تنتبه إلى رجل يحملق فيها. متأملاً من ثم يكون عليها أن تشيح بعيداً. هذا نتيجة الافراط بالتزيين والأناقة.

كانت بالفعل انيقة للغاية لا مجال لأن يخيب أمل آرون بمظهرها، وكانت متأكدة من ذلك. لقد أمضت معظم يوم الثلاثاء في التسوق ومعظم اليوم بتزيين نفسها قدر الإمكان.

كانت الملابس السوداء التي ترتديها جميلة وانيقة وكانت تشعر بالراحة بها.

الا أن كل ذلك سيذهب سدى إذا لم يظهر آرون.

كانت سيرينا لا تزال مقطبة الجبين عندما رأته على بعد مسافة، لوحت له بينما هو يسرع باتجاهها من بين الحشد.

نهضت واسرعت نحوه قبل أن تدرك كم كانت عواطفها ظاهرة، لذا هدأت قليلاً وحيته بابتسامة باردة. «هل توقفت ساعتك عن العمل، أيها الوسيم؟»

«لقد كنت خائفاً أن لا تنتظريني.»

قالت له: «لقد قلقت، لأنني اعرف جيداً دقة مواعيدك.»

اعترف بحدة: «لن تصدقي ذلك! لقد خرجت من المكتب وامامي متسع من الوقت. كان علي الذهاب إلى البيت ايضاً لأستحم قبل ان اجيء إلى هنا. لقد اعتقدت أن الازدحام فوق الجسر لن يكون خانقاً، ولكي تزيد من نفوري تحولت إلى وقوف تام.»

«حادث؟»

«لا. طريقان مقطوعان مؤقتاً بسبب بعض الأشغال في نفق تحت الأرض، لكن علاوة عن ذلك كان هناك مظاهرة بسبب ما قد تلوث هذه الأعمال البيئة. كدت اجن، لقد علقت في ذلك الإزدحام منذ الساعة الخامسة!»

قالت بلطف: «يا لآرون المسكين.»

ابتسم قائلاً: «على كل انتهى كل ذلك بسلام. لقد انتظرتِ، كما انك لست غاضبة.»

«آرون، لقد تأخرت نصف ساعة فقط، وهذا لا يهم.» الا أنها سرعان ما تذكرت زوجته التي تغار بجنون وتساءلت إذا ما كانت ناومي تجادله إذا ما تأخر عدة دقائق. «تعرف، بأنه عليك فعلاً أن تتعلم التحرر قليلاً. على فكرة، ان بعض الفئات من الناس معرضة للاصابة بنوبات قلبية، وأنت واحد من هذه الفئات.»

قال ممازحاً: «أما أنت فماذا؟ من الفئات غير النظامية

وغير المهمة؟» ثم امسك بيدها ومشى بها باتجاه المخرج الرئيسي.

«تعالي، سيارتي متوقفة في آخر الشارع، ومنزلي يبعد عشر دقائق فقط عن هنا. سنذهب إلى هناك لأبدل ملابسي، وبعدها نذهب إلى المطعم الإيطالي، لقد حجزت طاولة لنا هناك. يوجد فيه موسيقيون يعزفون على الكمان، لست بحاجة لأكثر من ذلك كي الطف مزاجي.»

فأردفت قائلة: «أنت منافق كبير، يا آرون، تماماً كابنتك.»

ضحك ضحكة مكتومة: «وأنت احياناً مضحكة بافتتان، لكانت جاين اوستن قد احبتك لو تعرفت اليك.»

«آه، هل تخطط لأن تمثل دور دراسي امام اليزابيت؟»

عندما نظر اليها بدهشة، رمقته بنظرة قاسية وقالت: «ألا يفترض بنادلة صغيرة مثلي أن تكون قد قرأت قصة الكبرياء والإجحاف ولم تقو على السخرية. إذا احببت يمكنني القول بأنني شاهدت الفيلم عدة مرات.»

اظهر الانزعاج من نفسه ثم قال: «أنا آسف، يا سيرينا، لقد كان هذا تحاملاً رهيباً مني مجدداً سامحيني.»

«بالطبع.»

تمتم قائلاً: «تعرفين، أنت حقاً امرأة جديرة بالإعتبار، انت تدهشينني باستمرار، في أي شيء...»

هنا غيّرت دفة الحديث قائلة: «إذا لم تأخذني إلى مكانك الجميل في الحال فستكون مندهشاً اكثر لأنني سأموت ببطء من شدة العطش.»

ابتسم قائلاً: «ليس من شيء آخر؟»

«بالتأكيد لا.»

«هيا اذاً، فالسيارة لا تبعد كثيراً.» بقي ممسكاً بيدها بينما يسيران، وكان يحوّل نظره اليها باستمرار الى أن قال أخيراً: «ثيابك رائعة.»

«إنها جديدة.»

قامت بالمستحيل كي تتصرف ببرود، لكنها لم تنجح، فقد شع وجهها بالخجل.

قال متعجباً: «هل أخجلتك؟»

«ربما.»

«لقد أذهلتني.»

أجابت: «أنا أحياناً أذهل نفسي.»

«آه، هذا ما اعرفه جيداً عنك، واعلم أنك قادرة على قطع الصلة بأي رجل إذا ما خرج عن حدوده معك.»

«هل تعتقد ذلك؟» أضافت سيرينا بدهاء. لم تحب هذا الطابع الذي جاء في حوارهما، فآرون يجعلها تبدو قاسية وغير مبالية. هل هكذا كان يراها دوماً؟

اقتربا من سيارته ولم يكن قد اقفل الباب إلى جانب السائق، نظر إليها بعينين قلقتين وهو يقول: «لا تبقي رزينة معي يا سيرينا.»

فكرت بمرارة كم ان ذلك مستحيلاً وبعيد جداً عما هي عليه، لذا قالت: «انني فقط متوترة، واذا قلت لي ان ذلك يدهشك، فسأضربك.»

ضحك بلطف وقال: «اتدرين، انني اشعر كذلك، قليلاً.»

قالت بدهشة: «حقاً؟»

«لو لم اكن اهتم لامرك يا سيرينا، ما كنت ابداً...»

كان هذا ما تريد سماعه، فقد اسعدتها هذه الكلمات وجعلتها تشعر بحب اكبر نحوه.

ساعدها على الجلوس في السيارة ثم استدار ليجلس خلف عجلة القيادة بسرعة متزايدة.

نظر اليها نظرة خاطفة وهو يدير المحرك. ثم اضاف قائلاً: «لا تدري كم تشتتين أفكاري.»

لقد تشتت افكاره!

استندت سيرينا للوراء على المقعد واغمضت عينيها، وبعد مرور بعض الوقت.

هتف آرون قائلاً: «ها قد وصلنا.»

فتحت عينيها بدهشة واستغراب.

لقد كان منزل آرون صدمة اكيدة لها، فقد كانت تمزح عندما انتقدت مساكن الدوبل باي بأنها فقط للطبقة الرفيعة. نعم، فقد كان هناك مئات من الشقق الفخمة، والعديد من المنازل القريبة للمرفأ. الا أنه يوجد هناك عدد من الشوارع والأبنية القديمة التي تأوي المتقاعدين والعمال على السواء.

تخيلت سيرينا مبنى من القرميد يحتوي على شقق سكنية تناسب فقط رجال الأعمال تملكها الشركة.

اوقف آرون سيارته الحديثة والفخمة جداً في موقف تحت الأرض، فذهب بها التفكير إلى أن آرون هو اكثر ثراء مما تعرف، لقد استخلصت ذلك من جهاز الامان في المصعد والذي توقف في الطابق العاشر، حيث انفتح الباب على ممر مغطى بالسجاد الأحمر.

كان الصمت يعم المكان، فلا يصله اصوات السيارات من

الخارج، هناك القليل من هذه الأبنية الحديثة في هذا الوقت. والاثرياء وحدهم هم من يتمتعون بهذه الخصائص اكثر من غيرهم.

لقد قابلت سيرينا عدداً كبيراً من الرجال الأغنياء والناجحين في اماكن السياحة التي عملت فيها. لكنهم كانوا عديمي الشفقة، قساة وانانيين.

بينما هي واقفة هناك، تراقب آرون وهو يفتح باب شقته، شرد ذهنها إلى مدى تأثيره عليها عندما رأته لأول مرة في المطعم منذ حوالي اسبوع.

هل غمرها بشعور مزيّف من الأمان بدعوتها لمقابلة عائلته، ثم فقط يهدئها بكلامه المعسول الجميل واللطيف عن مدى اهتمامه؟ الم تعرف منذ اليوم الأول الذي قابلت فيه آرون أنه كان ما زال يعاني من حب امرأة؟ ما الذي تغير؟ لا شيء ما عداها...

ابتعدت متظاهرة بالنظر حولها، وانشغلت بالمدخل الرخامي الفسيح الذي كانا يقفان فيه. خطت نحو التحف القديمة المطلية بالذهب الموجودة في الردهة، نظمت شعرها في المرآة، ثم تابعت لتلقي نظرة على شجرة النخيل الكبيرة والمستقرة في إحدى الزوايا، كانت خضراء ورطبة لدرجة أن سيرينا اعتقدت بأنها اصطناعية. إلى أن لمست اوراقها، عندها قالت بدهشة شديدة: «إنها حقيقية!»

ابتسم آرون لدهشتها وقال: «لقد ائتمنت عليها الا أنني لم استطع، انها من ضمن الموجودات الأخرى في هذه الشقة وعلي الاعتناء بها وبغيرها من النباتات.»

تجولت سرينا في المكان إلى ان وصلت الى غرفة

الطعام التي كانت خلاصة للاناقة والكمال. جدران بيضاء، والستائر بذات اللون تقريباً، سجادة صفراء، كنبتان مغطتان بجلد من اللون العاجي، الجلود العاجية نفسها تغطي كراسي مائدة الطعام. أثنت سيرينا قائلة: «رائع جداً يا آرون، يبدو أن لمحاسب الضرائب راتب جيد.»

قال لها: «هذا يتوقف على أمور كثيرة، لقد عملت كرايغ وأنا بجهد إلى ان توصلنا إلى ما نحن عليه الآن، وقد كان لي بعض الحظ ببعض الاستمارات الخاصة.»

«ربما يجب عليّ أن الجأ اليك لتنصحني بما علي فعله بنصيبي من الأموال في بيع البيت. كنت سأذهب لأشتري شقة صغيرة لنفسي في مكان ما.»

«العقار الحقيقي هو دائماً استثمار جيد للأموال.» وافق، وهو يخطو معها بينما هي تسير خارجاً باتجاه الشرفة التي تقع خلف قاعة الطعام الزجاجية وتابع يقول: «احب يا سيرينا أن اشتري شقة لك. أو، إذا كنت تفضلين، ان ادفع ثمن أي ايجار.»

كانا يقفان معاً في الشرفة، ينظران باتجاه الموقف الصغير عبر الطريق بينما كان بعض الأولاد يلعبون على الأرجوحات.

بعد فترة انيرت أضواء المدينة مع حلول الظلام فقالت: «احب أن ادفع على طريقتي الخاصة.» قالت بدون حقد ظاهر، مع أنها داخلياً كانت تشعر باليأس والاضطراب.

قال لها: «تصرفي وكأنك في بيتك، سأذهب لأغيّر ملابسي.»

اتكأت على حافة الشرفة، وقد استرعى انتباهها إحدى

الفتيات الصغيرات التي كانت تلعب في الموقف المقابل. كانت الفتاة تلعب بمرح تصعد إلى الأعلى ثم تقفز على الأرض في الوحل، حتى اتسخ ثوبها. اسرعت إليها والدتها وبختها، وفي الحال اتجهت المرأة لتخاطب احدى الأمهات بشأن فتى اتجه فوراً ليفعل الشيء نفسه مجدداً.

«ألم تحضري شراباً لنفسك.» فاجأها آرون بقوله.

التفتت لتجد آرون يقف خلفها عبر الباب المؤدي إلى الشرفة، وكان يجفف شعره بمنشفة سميكة.

الفصل التاسع

أحست سيرينا على صوت آرون العميق، فتحركت بخفة، انها لم تشعر ابداً بمثل هذا الكسل.

«الفطور يا سيدتي.» جاءها اعلانه المدهش.

آرون...

رفعت اهدابها ببطء، وارتسمت ابتسامة لطيفة على شفتيها بينما هي تدفع شعرها إلى الوراء عن وجهها.

كان آرون يقف مرتدياً ثياب العمل، ويحمل صينية بين يديه. تقلصت عضلات فكيه عندما استدار ليضع الصينية على الطاولة، وقد دفع الساعة إلى الخلف ليفسح المجال للصينية.

«عصير ليمون، قطع لحم مملح وبيض، شريحتان من الخبز المحمص المصنوع من الدقيق وقهوة...»

نظر إلى ساعته مقطباً: «اسمعي، أنا اكره أن اودعك ثم اسرع بالخروج، إلا انه علي الذهاب، سيغادر كرايغ هذا الصباح في اجازة وقد وعدته بان اقابله في المكتب عند الساعة التاسعة. سأتصل بك فيما بعد واعلمك بما سيكون، اذا ما كنت سأعود باكراً أم لا.»

اسراعه في الخروج جعلها تشعر بالحزن على الفور. كانت ما تزال الساعة السابعة والنصف. فكم يعتقد انه سيستغرق من الوقت للوصول إلى شمال سيدني؟ حتماً لن يستغرق ساعة ونصف.

يبدو متشوقاً للابتعاد عن ناظريها قالت: «آه... حسناً.»

تنهد: «لا تكوني كذلك، يا سيرينا. ليس الأمر هو انني اريد الذهاب، إنما علي ذلك.»

«أعليك؟» سألته وقد رفعت نظرها ببطء، بينما كان قلبها يتألم.

«هل أنت متأكد انك تريدني فعلاً ان اكون هنا بعد عودتك، يا آرون؟ هل أنت متأكد؟»

قال بانفعال: «طبعا اريدك هنا، ولكن ما لا اريده...» سكت وتنهد بانزعاج واضح.

«لا تريد ماذا؟» جادلته بيأس.

«تباً يا سيرينا، اسمعيني، لقد قلت بأنني احتاجك الا اني لا اريد ان احتاجك بهذا الشكل. لا اريد ان احتاج لأي شخص بهذا الشكل!»

حدقت به مذهولة وحزينة، كانت النتائج عكس ما كانت ترجوه الأفضل لها ان تفعل ما فعلته دائماً فقط ان تقبع هناك في منزلها كقطعة خشبية. قالت بانكسار: «اذا اردتني ان اذهب، اذاً يجب ان تقول ذلك. على الأقل كن شريفاً!»

اتسعت عيناه ثم ضاقت بينما هو يحدق بها: «شريف؟ شريف؟ منذ متى كنت انساناً يتحلى بكل شيء الا الشرف معك؟ لم اجبرك بالقوة على المجيء إلى منزلي يا سيرينا، اتيت بملء ارادتك. قبل ان تبدأي بالدفاع عن نفسك، انظري إلى تصرفك منذ لحظات. عندما قلت بأنه علي الذهاب إلى العمل اظهرت الاستياء من ذلك، في الواقع تألمت، كأنني

عريس تخلى عن عروسه بعد يوم زفافهما. بالتأكيد ذلك قد زاد من شكوكي بالنسبة لبقائك حتى نهاية الأسبوع، لأن سيرينا التي طلبت منها ان تبقى ليست من نوع الفتيات اللواتي يعبسن اذا لم يتمّ لهن الحصول على ما يردن، انك من النوع المتملك وأنا لا احتاج لهذا النوع في حياتي. ليس فقط لا احتاجه الا انني لست على استعداد للمتابعة معه!»

حدق باتجاهها بعينين قاسيتين وتابع: «لذا، اذا كنت تريدين التصرف بهذا الشكل، قد يكون من الأفضل لك ان ترحلي!»

نظرت إليه خلسة. بينما افكارها تتسارع، أي نوع من النساء كانت زوجته حتى تركت في نفسه آلاماً جريحة كهذه؟ سيئة... هل يمكن ان تشفى الجراح يوماً ما؟ شكت سيرينا بذلك، الا انها احبته ولا تستطيع تركه وترحل بعيداً. اعترافه بأنه يريدها كثيراً دعم ما بقي من آمالها المحطمة.

قد تكون مخطئاً يا آرون، فكرت بينما هي تنظر إلى وجهه الساخر العديم الاكتراث، ربما انت فعلاً بحاجة لشخص مثلها. أنت بحاجة لتخرج من هذا الفراغ الذي عانيت منه طويلاً، وشاءت الظروف ان تشعر به مجدداً، لذا سأستمر بالمتابعة من هنا واكون المرأة التي تريدها ان تكون، حتى لو كان ذلك يعني التحلي بالروح المرحة، ويوماً ما ستستيقظ لتجد انني اصبحت جزءاً من حياتك ولا تريد الاستغناء عني.

قالت بتأثر: «آسفة يا آرون، بالطبع عليك الذهاب إلى العمل، لكن ارجوك، حاول ان تفهمني، لقد شعرت بالارتباك

عندما فكرت بأنك لم تعد تريدني على الاطلاق، وبانك تريدني ان أرحل. هل سامحتني؟»

اعتقدت للحظات بأنه لن يسامحها لكنها سمعته يقول فجأة بتأثر لا يمكن انكاره: «هل تعتقدين حقاً بأنني اريدك ان ترحلي؟»

قالت بارتجاف [illegible]...

أصر قائلاً: «اريدك يا سيرينا، واريد ان اكون معك لكن علي ان اخبرك ببعض الحقائق الاساسية ان لم تفهمي...»

«نعم؟»

«لا تقعي في حبي، لا تتوقعي ابداً بأنني قد اتزوجك. أنا لست سعيداً. ولكنني اشعر بالتحرر واريد ان ابقى كذلك. لا اريد ان اكون مسؤولاً عن اي شخص سوى آرون كينغسلي. إذا كان ذلك لا يرضيك، ربما يكون من الأفضل ان نفترق منذ الآن.»

«لقد فهمت.» تمتمت، واخفضت نظراتها، كان قلبها يتخبط بين اضلعها، لأن هذه تجربتها الأولى، وقد كانت تجربة قاسية ـ ان تسمع الرجل الذي احبته طوال حياتها يتفوه بكلمات تدمر احلامها.

عادت تنظر اليه مبتسمة وهي تقول: «حسناً... بعد ان استوضحنا الأمور، لما لا نتصالح؟»

حدق إليها لبضع ثوان ثم قال بعد ذلك: «لم اعرف ابداً امرأة مثلك، انت مدهشة... أنت...»

* * *

اتصل بها آرون في الساعة الحادية عشر والنصف ليقول

لها بأنه لسوء الحظ لن يتمكن من المجيء إلى البيت لتناول الغداء كما كان يأمل.

شرح لها: «عليّ ان اصطحب احد العملاء لتناول الغداء احتفالاً بمناسبة بالعيد. لقد وضع كرايغ هذه الترتيبات قبل ان يعرف تماماً بأنه سيغادر باكراً اليوم، لذا فقد آل إليّ هذا الأمر.»

قالت مبتهجة:

«لا يمكنك التغاضي عن ذلك.»

بقي صامتاً لثانية: «حسناً، ماذا فعلت منذ ان خرجت منذ ساعتين؟»

ضحكت: «لم استطع تناول فطورك اللذيذ، لقد كان بارداً في الوقت الذي قررت ان تناوله، لكنني شربت عصير الليمون، وعدت مجدداً إلى السرير لأغفو قليلاً.»

«إنك محظوظة.»

«انني الآن على وشك اعداد بعض الخبز المحمص الطازج والقهوة، بعدها سأطالع قليلاً. ارى ان لديك مجموعة كبيرة من روائع القصص في مكتبك.»

«ماذا اخترت من بين هذه المجموعة؟ لن احاول ان احزر، حتى لا اجرح مشاعرك مجدداً.»

«لم اقرر حتى الآن.»

«هل تحبين قصص الرعب؟»

«أحب أي شيء حقيقي.»

قال بصوت هامس: «اخبريني بالمزيد، آه تباً هناك اتصال على الخط الآخر. آسف يا سيرينا، سأراك حالما استطيع، على الارجح حوالي الساعة الرابعة.»

اقفل الخط وتحركت سيرينا نحو المطبخ. كل شيء كان يسير على ما يرام. لقد اتصل بها كما وعدها، وبدا صوته سعيداً فعلاً.

فقالت بينها وبين نفسها:

ستكون سعيداً جداً معي يا آرون كينغسلي، فقط انتظر وترى!

كانت سيرينا لا تزال في المطبخ، تحضر لنفسها الفنجان الثاني من القهوة، عندما سمعت صليل مفتاح في الباب الخارجي. رفعت عينيها إلى ساعة الحائط كالسهم. الساعة الآن الثانية عشرة وستة عشر دقيقة، ربما لم يذهب آرون إلى موعد الغداء. قفز قلبها من مكانه واسرعت باتجاه غرفة الجلوس في الوقت الذي رأت فيه كرايغ يغلق الباب الخارجي خلفه.

شعرت بالصدمة بينما عيناه تنظران إليها باستغراب ثم قال مستدركاً: «حسناً، حسناً، لقد صادف آرون ازدحام سير خانق هذا الصباح.» ثم ضحك وتابع: «كان يجب ان يخبرني، ذلك الخبيث، المحظوظ. نعم، بالفعل، كما قلت له، خبيث محظوظ...»

قالت بدهشة: «من المفروض انك غادرت في عطلتك.» صوتها المرتجف اظهر اضطرابها من كونها وحيدة مع هذا الرجل. بدا شريك أعمال آرون أكثر وقاحة وحتماً اشد قوة مما كان عليه تلك الليلة التي قابلته فيها لأول مرة. رفع حاجباً واحداً ثم استدار واقفل الباب خلفه.

«ماذا... ماذا تعتقد بأنك ستفعل؟» غصت سيرينا، فالخوف اطبق على صدرها وحنجرتها.

استدار بسرعة ليعطيها نظرة اعجاب: «سأفعل؟ اتيت لأحضر قبعتي المفضلة، لقد تركتها هنا منذ اسبوعين.»

تراجعت إلى الوراء بينما يتقدم منها: «لكنك... لكنك أوصدت الباب! لِمَ أوصدته؟»

توقف وعبس، ثم نظر بسرعة نحو الباب وقال: «آه، انها عادة على ما اعتقد. لقد سكنت هنا لفترة عندما كنت أجري معاملات الطلاق، وآرون كان دائماً يصر على ذلك. عليك ان تعرفي أي نوع هو.» تحولت عيناه لتحدقان بوجهها التعيس. فجأة هز رأسه، وأصبح تعبيره غاضباً: «ما هذا، يا سيرينا، لا تكوني مغفلة هكذا. فأنت صديقة أفضل اصدقائي. تباً فأنا لدي بعض الاخلاقيات!»

اطمئنانها الواضح جعل عبوسه مظلماً اكثر: «انت تعرفين يا جميلتي، اعتقد بأنك ربما شديدة الشك، اعني، لا بد وان ينظر المرء اليك، يا امرأة! لست فقط حسنة المظهر انما انت جميلة جداً.»

دهشت من تصريحه المفاجيء، لقد أصبحت دفاعية عبر السنين، لكنها ربما الآن قد بالغت بردة فعلها. ربما...

تنهد وخطى نحو المطبخ، وقفت بعصبية عبر الباب، فقال: «ليست هنا، ألم تري قبعة كبيرة من القش، ارأيتها؟ انها من النوع المكسيكي وهناك كرة من الريش معلقة فوقها؟»

«آسفة. يصعب علي التصديق ان رجلاً مثلك يرتدي هكذا القبعة.»

«تباً! كيف سأذهب إلى فيجي من دون قبعتي المفضلة؟»

اقترحت قائلة: «ربما تكون في غرفة النوم، هل ابحث لك هناك؟»

«لا، انا سأفعل. اعرف الطريق.» وخطى ناحية غرفة النوم تتعقبه سيرينا على بعد مسافة آمنة، ففتح باب الخزانة، لكنه لم يجد أية قبعة.

حاولت مساعدته قائلة: «لم لا تتصل بآرون في المكتب؟ ربما يعرف أين تكون.»

«لن ينفع فلن يكون هناك الآن، لديه موعد في المدينة عند الساعة الثانية عشرة والنصف. تعرفين آرون فهو لا يتأخر ابداً عن مواعيده.»

دخل كرايغ إلى الحمام الرئيسي ثم هتف قائلاً: «آه، ها هي.» ثم خرج مرتدياً القبعة على رأسه، ففغرت سيرينا فاهها لهذا المنظر الساخر.

ابتسم كرايغ وقال: «انها تبعد الذباب.» ثم أخذ يحرّك رأسه فأخذت كرة الريش تتأرجح وأضاف: «اعتقد ان الابريق يغلي.»

دخلت سيرينا إلى المطبخ، ولحق بها كرايغ: «هل هناك فنجاناً من القهوة لي، فأنا اعمل منذ الصباح الباكر.»

ما زالت سيرينا غير مرتاحة كلياً لوجودها وحيدة مع كرايغ، إلا انها لا تستطيع الرفض. وقد برهن لها أنه ليس فاسداً كما اعتقدت في البداية.

قالت بينما ناولته فنجان القهوة: «إذاً أنت وآرون شريكان منذ فترة؟»

كرر: «شريكان؟ تعيشان معاً، إذن.»

حدقت به عبر طاولة المطبخ: «هل ذلك يعنيك؟»

قال لها: «ربما نعم، ربما، لأن أي شيء يجعل آرون سعيداً أو غير سعيد، يعنيني. المسكين يستحق الراحة ولقد اخبرته منذ زمن ان ما يحتاجه في حياته هو زوجة متعاونة ولا احب ان ارى باحثة عن الذهب تحاول اللعب به لسرقته.»

صدمتها كلمات كرايغ بعد ان أهينت في البداية، فأجابت بحدة وغضب: «من تعتقد نفسك تكون، لتقول ذلك لي؟ انها أنا من ستنتهي محطمة من هذه الصداقة. فقد اخبرني بصراحة بألا اتوقع شيئاً في المقابل. هل يعني هذا كأنني... منقبة عن الذهب؟» ثم تدفقت دموع الغضب والأذى من عينيها.

قال كرايغ: «يا للتعاسة، انت فعلاً تحبينه، الست كذلك؟»

تابعت بحدة: «ماذا حتى لو كنت؟ واضح بأنك لا تعتقد بأنني جيدة جداً لصديقك الغالي على اية حال، إذاً ما الفرق في ذلك؟»

«سيرينا... لا اعني... أنا..»

مسحت دموعها بيديها: «فقط اشرب قهوتك الفاسدة واخرج من هنا، هل تسمح؟» اعلنت ذلك، واسرعت من المطبخ كالعاصفة، مشت إلى غرفة النوم واقفلت الباب خلفها.

اتكأت مقابل الباب، شاعرة بالاختناق وتكره نفسها لأنها فقدت هدوءها، لكنها كرهت كرايغ اكثر فهو رجل وقح بلا احساس.

حاول كرايغ الطرق على باب غرفة النوم قائلاً:

«سيرينا؟ انظري، أنا آسف يا عزيزتي. فعلاً لم اكن أقصدك بالتحديد، ولو انك قد ادركت كيف اتيت مصادفة. اقصد، انك كنت دائماً موجودة، يا عزيزتي، تعيشين هنا، تعيشين هناك، تعملين في مختلف انواع الاشياء. والتمسك بآرون هو نوع من الهلاك، اسمعي شيء عظيم ان تحبينه، لكن لا تخبريه بذلك أو انه سيواجه حالة من الانقباض، تباً لكنك وضعت نفسك في وضع معقد هنا. هناك بعض الأمور عليك معرفتها، يجب ان ارشدك او انك فعلاً ستصابين بالأذى كثيراً. أخرجي، يا عزيزتي، واجلسي معي لبرهة. اعتقد بأنه علي ان اخبرك شيئاً بشأن زواج آرون، على الأقل تكونين على حذر...»

كيف تستطيع ان تقاوم هذه الفرصة في معرفة المزيد عن الرجل الذي احبته، لتكشف بعض جوانب لغز ماضيه في هذا المكان؟ لم يكن لدى سيرينا أي خيار الا ان تمسح دموعها وتخرج، وضع كرايغ ذراعاً مطمئنة حول كتفها واجلسها على احدى كراسي المطبخ ثم خطى وملأ فنجاني قهوة.

«من اين أبدأ؟» شرد فكره بينما كان يعطيها الفنجان: «في البداية، اعتقد، عندما قابلت آرون لأول مرة، كان ذلك في الجامعة، ليس بعد زواجه من ناومي بفترة طويلة. لقد كنا نأخذ درساً معاً لبعض الوقت في الأعمال الادارية في ساحة كيورنغ غاي. كان آرون مشهوراً بمهارته كرجل حديدي، كنت اعمل كاتباً في شركة محاسبة. ربما ما قد قربنا ببعضنا البعض، هو انني أنا أيضاً قد تزوجت صغيراً، ولو انه ليس لاسباب آرون نفسها. لا يعني ذلك انه لم يحب

ناومي، لقد كانت تبدو طائراً أحسن المظهر وكرست نفسها له كما تبين في ما بعد.»

أضافت سيرينا: «كذلك عندما اجتمعت بجيليان قالت بأنها كانت عصبية، غيورة وعلى الغالب تعتقد بأنها قد ارسلت كريستين إلى مدرسة داخلية لتبعدها عن طريقها مع ان ذلك يبدو متطرفاً قليلاً.»

«عليك ان تصدقي ذلك. هذا ما ارادته وقد تمّ لها. اراد آرون اولاداً اكثر الا انها رفضت. لم تحتمل فكرة مشاركته بعدد اكثر.»

قالت سيرينا بتأمل: «اندهشت لتأخر الزواج.»

«وأنا كذلك، بصراحة، خصوصاً بعد ان تأذى آرون وكان عليه ان يمتنع عن خوض المباراة في السباحة.»

«تأذى؟»

«كسرت ساقه كسرين، ولم تلتئم كلياً لوقت طويل. آه، لكن ناومي احبت ذلك، احبت ان يقلع عما يحب، كرهت ان ترى آرون بعيداً عن ناظريها، كرهت ان يكون لديه اصدقاء. على الأخص أنا كرهتني، اعتقدت بأن لي تأثيراً سيئاً عليه، خصوصاً عندما نذهب سوياً في عمل ومن ثم حصلت على الطلاق. هذا فعلاً كمن يضع هرة بين طيور الحمام! بدأت بالاتصال بالمكتب عدة مرات في اليوم، لتتحقق اين ذهب آرون، وإذا تأخر دقيقة في المجيء إلى البيت، أو في مقابلتها في مكان ما، فكان يحصل بينهما أعظم قتال. في احدى المرات عندما حصل له حادث سيارة وتأخر نصف ساعة في المجيء إلى البيت اتصلت بالبوليس.»

«لقد فهمت...» قالت ذلك وتذكرت بذهول تام محافظته على المواعيد، لكنها لم تعد تتعجب لما لا يريد ان يرتبط بأحد لفترة. قالت بصوت عالٍ: «لا زلت، اجد من الصعوبة التصديق بأن آرون رضي بذلك الوضع، فهو رجل قوي جداً.»

«لا تفهمي كلامي بصورة خاطئة. لقد كسر اسنانها مرة واظافرها احياناً، الا ان طفلته كانت دائماً ما يجبره على حل المشكلة، استعملت ناومي حبه لكريستين لتتمسك به. قلما كانت تعرف انه حتى تلك الحيلة ما عادت تجدي نفعاً، كان سيتركها ويعمل من أجل حضانة كريستين.»

«لكنه... لكنه لم يفعل، هل فعل؟»

«لا... في ذلك اليوم المشؤوم سألني ماذا يفعل، فهو قد تلقى مكالمة من طبيب ناومي، يخبره بها بأن عليه العودة للبيت، وأن زوجته قد تدهورت صحتها بسبب المرض وستعيش لبضعة اسابيع على الأكثر. فما الذي يقدر ان يفعله؟ ان يتخلى عنها في الوقت الذي تحتاجه؟ بالاضافة إلى ذلك، في طريقة ما، ولو ان الأمر رهيب، فقد حلت مشكلته نفسها بنفسها.»

تمتمت سيرينا: «كم هذا مؤلم!»

«لم تسمعي بعد الأسوأ في هذا الأمر، هل تعلمين ما قاله الطبيب لآرون - ما أخبرته به ناومي في ما بعد ايضاً؟ بأنها كانت قادرة على الشفاء. فهذا الورم في صدرها كان منذ فترة طويلة لكنها رفضت ان تفعل أي شيء بشأنه، معتقدة ان آرون لن يعود يرغب بها ابداً اذا ما قامت بعملية استئصال، أو اذا خسرت شعرها خلال

العلاج الكيميائي. لقد اخبرت آرون بهدوء ان بقاءها سنتين حية جميلة في نظره، لهو أمر تستحق الموت لأجله، وانها ليست نادمة.»

«آه، يا لهذه المرأة المريضة المسكينة... آرون المسكين!»

«لقد دُمر. إلا انه استجمع قواه وقام بكل ما يستطيعه لجعل موت ناومي آمناً وسعيداً قدر الامكان. لقد تظاهر بما لم يتظاهر به ابداً من قبل، وقد تطلب منه ذلك ضريبة عاطفية هائلة. اعتقدت انه بعد موت ناومي سيتغلب على كل شيء، لكن بخلاف ذلك فقد اصبح قاسياً وساخراً حينما يتعلق الأمر بالنساء. دائماً يأخذ وهذا ما يقلقني بشأنك، يا سيرينا. لست المرأة الوحيدة التي تعرف عليها آرون منذ وفاة زوجته، صدقيني. مع ذلك فأنت المرأة الوحيدة التي استمرت معه، كوني حذرة فهذا لا يعني بأنه يحبك.»

جلست سيرينا تحدق بصمت في قهوتها، لقد كان باستطاعة آرون ان يطردها من حياته، الا انه لم يفعل. لِمَ لم يفعل؟

لقد كانت الأمور معقدة اكثر مما تصورت، زوجته كانت مريضة جداً، ومحطمة جداً. هل يمكن ان يتم تجميع كل الاشلاء التي تركتها خلفها في نهاية الأمر؟ من الجيد انها ارسلت كريستين إلى مدرسة داخلية. لقد ابعدت طفلتها عن ذلك الوضع غير الصحي.

قال كرايغ بلطف: «أنا اود ان اخبرك بأنه من الممكن ان يقع بحبك، الا انني لا اعتقد بأنه سيفعل، لقد فات الأوان. فات الأوان كثيراً. حتى لو فعل، فهو حتماً لن يتزوجك. لذا، اذا

كنت تسعين إلى الزفاف ولانجاب الأطفال، عليك ان تنسي هذا الأمر، فهذا الرجل غير قادر على التأقلم.»

سمع صليل مفتاح آخر في قفل الباب الخارجي أفزعهما معاً، وحدقا بعيون متسعة وهما صامتان، بينما دخل آرون واغلق الباب. لكن آرون لم يكن كما هما معقودا اللسان، خطى ببطء نحوهما، ووقع بصره على يد كرايغ تمسك بيد سيرينا.

www.elromancia.com

الفصل العاشر

«ما الذي جعلك تأتي إلى هنا وأنت في طريقك للمطار، يا كرايغ؟» اتى انتقاده القاطع بارداً.

التقطت سيرينا انفاسها عندما سحب شريك آرون فجأة يده وأمسك بطرف قبعته المكسيكية: «من أجل هذه يا صديقي، أنت لا تتوقع مني أن اذهب إلى فيجي من دون هذا التقليد القديم، أليس كذلك؟ حرارة الشمس من دون قبعة تكون مؤذية، كما تعلم.»

«هناك اشياء اكثر خطورة.» قال له محذراً بغموض.

«صحيح.» جاهد كرايغ ليبتسم الا أن سيرينا استطاعت أن ترى بأنه غير مستريح. لقد بدا آرون مرتعداً، كان هناك بعض الشؤم في الطريقة التي كان يقذف بها المفاتيح من يد إلى اخرى. كان من الممكن أن تشعر ببعض الأمل بسبب غيرته الواضحة لولا أنه كان يرمي باتجاهها نظرات قاتلة كالعادة.

قال كرايغ بكلمات تبين تظاهره الواضح بعدم الاكتراث: «شكراً على القهوة، يا سيرينا، اراك في ما بعد، يا آرون.» بدأ بالسير نحو الباب الخارجي ثم توقف ليقول: «اه، بالمناسبة، ماذا حدث بالنسبة لغداءك مع بيت؟ ألم يحضر؟»

«لقد ترك رسالة في المطعم يبين فيها بأنه لا يستطيع الحضور.»

«آه... لقد فكرت بأن الأمور ستكون شيئاً كهذا. حسناً، إلى اللقاء! سأراك بعد ثلاثة اسابيع!» فتح الباب ورحل.

كان الصمت ثقيلاً بعد ان اختفى صدى اقفال الباب. شعرت سيرينا بالغثيان، فلم تكن تعرف كيف بامكانها التغلب على هذا الوضع، هل تفسر سبب وجود كرايغ أو تتجاهل غضب آرون، انها لا تدري ما ستفعل.

«لقد بدوتما حميمين معاً.» قال لها اخيراً، كلماته شديدة وقاسية. خطى قليلاً ورمى مفاتيحه على الطاولة، ثم رفع فنجان قهوة كرايغ. حدق به لثانية ثم خطا نحو المغسلة وسكب الرواسب فيها: «أو بالأحرى يستطيع الفرد الاعتقاد بسهولة انني قد قاطعت لقاء حميماً...»

عندما لم تدافع عن نفسها بأية كلمة اسرع ليواجهها قائلاً: «حسناً؟ ألن تقولي شيئاً؟ أو هل تعتقدين أنني غبي لأصدق أن الأمر كان بريئاً كما ادعيتما؟» تراجع إلى الوراء ببطء وأمسك طرف الطاولة وأخذ يحملق بها، والغضب قد تملكه: «لن اندهش إن لم يكن لدى كرايغ فكرة بأنك تنوين استدراجه لمصيدتك، بعد أن شجعته بكلامك في تلك الليلة على العشاء.»

لم تستطع اخفاء صدمتها، محدقة به بعينين واسعتين.

قال باحتقار: «هذا هو اسلوبك المتبع، أليس كذلك؟ تمثلين بمهارة لتجعلي من المسكين يعتقد بأنك لا تريدين ان يحدث شيء بينكما، ثم فجأة تأتين بحرارة وقوة لتجعليه يريدك بجنون!»

صعقت سيرينا باتهام آرون العدائي لكنها قالت له برباطة جأش اكثر مما كانت تشعر: «آرون، لم يحصل أي شيء

بيني وبين كرايغ. لقد حضر إلى هنا من أجل قبعته، كما قال، ثم بقي لتناول القهوة.»

ضاقت عيناه بخطر شديد، وقال: «وكي يفعل ذلك فهو بحاجة لأن يمسك بيدك؟ آه، يا سيرينا!» استدار مسرعاً وخطا نحو غرفة الجلوس: «هل تظنين بأنني أحمق؟ الحقيقة هي أنه لو لم احضر الآن، لكنتما أنتما الاثنان...»

فغرت فاهها بذهول، ثم اغلقته بسرعة، نفذ صبرها من مواجهة غيرته العمياء، وبهذه الطريقة السافلة البذيئة فقالت: «هذا يكفي، يا آرون!» وقفت وتابعت بينما عيناها تشتعلان غضباً: «حتماً لا يوجد أي دافع لتصديق شيء كهذا. لا دافع على الاطلاق. ولو أنه يجب أن تعرف، ما أنني وكرايغ كنا نتحدث عنك عندما وصلت. كان يخبرني عن زواجك، يحذرني بأن لديك اثار جراح لم تندمل بعد، ذلك...»

توقفت لتتابع بغضب: «آه، هذا أمر سخيف.» رؤية الشك في هاتين العينين، جعلتها تعرف في تلك اللحظة، مدى كرهها لحب آرون، لن تحتمل البقاء معه. فهي لن تصبر على عدم تمييزه، لا تستطيع احتمال عناد شخص يصدق اشياء ليست صحيحة عنها قالت بانكسار: «أليس علي أن اوضح نفسي لك، يا آرون، يجب أن تكون حراً؟ إذن كن حراً بمفردك!» قالت ذلك ثم تخطته نحو غرفة النوم.

كانت على وشك اقفال الباب خلفها إلا أنه لم يسمح بذلك، دخل الغرفة بعزم وأمسكها بيدها قائلاً: «لن ادعك ترحلين، يا سيرينا!»

اندفعت تصرخ: «لن تدعني؟ وكيف تقترح منعي عن ذلك؟ بضربي؟ أم تقييدي؟ هل تعتقد أن ذلك سيجدي نفعاً، وأنني قد اتقبل تصرف كهذا بوداعة؟ لقد اعتقدت بأنك من بين جميع الناس، قد تتفهم كيف يتصرف الآخرون مع شخص مريض، ويغار، يا آرون. كل ما يريدون فعله هو الابتعاد قدر المستطاع، وبأسرع ما يمكن.»

بدا خائفاً ومحطماً للغاية مما جعلها تشعر بالعطف يذيب غضبها، لتتجمع الدموع في عينيها بسبب سوء التفاهم هذا، الا أنه بجانب الدموع اتى العزم لوضع بعض الحقائق عن نفسها.

اتجهت نحوه قائلة وهي تصرخ: «أنا لك ولست لكرايغ ولا لأي رجل آخر. الا أنني لا استطيع تقبل ما نسبته إليّ منذ برهة. فأنا سوف ارحل قبل ذلك. اريد ان اكون حرة أيضاً يا آرون.»

قال معتذراً بسرعة: «أنا آسف... سامحيني... لن افعل شيئاً ابداً مثل هذا مجدداً. ابداً! لا بد وأنني مجنون! يا للهول، أنا فعلاً أعرف كيف تكون الغيرة المدمرة، صدقيني.» تراجع قليلاً وأمسك وجهها بيدين قويتين. وعاد يقول: «سامحيني...»

رفع يده وأخذ يلامس خدها قائلاً: «لقد سامحتني، ألم تفعلي؟»

«يجب أن لا أفعل ذلك.» تمتمت، وهي تدرك في صميمها بأن حبها لهذا الرجل لن يكون في صالحها.

همس لها: «سأصالحك.»

تمتمت: «آه؟ كيف؟»

«أن اعطيك أي شيء تريدينه، متى شئت، بقدر ما تحبين...»

قالت بعدم اكتراث: «وعود، وعود.»

تظاهر بالاستياء: «أنت تشكين بي؟»

«حسناً... لقد قلت ذلك اليوم عند شاطىء البحر بأنك لا تتمتع باللياقة البدنية كما يجب أن تكون، وأنك بحاجة لإجراء التمارين اكثر قليلاً.»

ضحك وقال: «تريدين وضعي تحت التجربة؟»

تجهّم وجهها وقالت: «أنا لا اريد ترك نفسي لخيبة الأمل.»

شع وميض عميق شرير في عينيه: «إذاً فأنت لا تعرفينني جيداً، يا سيرينا، حبيبتي. أنا دائماً ارتقي إلى مستوى التحدي.»

• • •

كان على آرون في اليوم التالي ان يبقى طويلاً في مركز عمله إلا انه رجع إلى البيت عند الظهر. كانت سيرينا في الماضي تستاء بشأن الامكانيات والاحتمالات بالنسبة للمستقبل، لكنها الآن تتصرف بجنون لقد كانت مجنونة للغاية، فهي تحبه بعمق حتى انها تتصور الحياة من دونه قد تسبب لها انهياراً عقلياً.

استسلمت كلياً لارادته، آملة بالفوز بحبه في النهاية. كان يدهشها من وقت لآخر، وفيبدو لها أن الأمل يتحقق، فكانت احياناً تندهش بنظرة تعلو وجهه وتحمل معها دفئاً

وحباً يجعلها تؤمن أنها فقط مسألة وقت حتى يصبح غير قادر على العيش من دونها نهائياً.

آرون لا يريد إعادتها إلى البيت يوم السبت، يريدها أن تبقى معه، لكن، على الرغم من أنه طلب منها قضاء يوم العيد معه والذي يصادف يوم الأحد، ومع كريستين عند جيليان، فقد أصرت سيرينا على أن يرجعها للبيت.

اخبرته قائلة: «عليّ شراء بعض الهدايا، وأنا بحاجة إلى بعض الملابس. لا استطيع قضاء حياتي في ثوب واحد.»

«آه، لا اعرف.»

عندما اوقف سيارته اخيراً خارج منزلها، كان عليها فعلاً أن تمنعه من مرافقتها للداخل.

فقالت له: «لقد وعدتني بالذهاب إلى البيت ومساعدة كريستين في التحضير للعيد.» اقتنع اخيراً وذهب في طريقه، لكن فقط بعد أن حصل على وعدها في أن تكون امام باب جيليان قبل الساعة الحادية عشر صباحاً. رفضت أن تجعله يقطع كل المسافة من أجل إحضارها، قائلة له بأن لديها دراجتها، ليكون قادراً على التمتع بالعيد من دون اضطراره للقلق بشأن إعادتها إلى البيت.

ندمت على هذا القرار عندما استيقظت على صباح عيد ممطر، ولحسن حظها فقد توقف المطر في فترة قيادتها. وصلت تقريباً بعد الحادية عشرة، وقد ارتدت سروالاً من الجينز الأبيض وبلوزة مخططة بالأبيض والأحمر، وتحمل كيس بلاستيكي احمر اللون يمتلىء بالهدايا.

وثبت كريستين إلى المدخل لمقابلتها: «لقد سمعت

صوت الدراجة آتياً من فوق التلة.» قالت كريستين ذلك بسعادة واستدارت لتبتسم لوالدها الذي كان يتبعها في اسفل الردهة المؤدية إلى الممر الخارجي بسرعة اكبر: «سيرينا تبدو رائعة، اليست كذلك، يا والدي؟»

انه يبدو رائعاً ايضاً، فكرت سيرينا.

همس لها بينما انحنى ليقبلها: «بماذا تفكرين؟» ثم أضاف بصوت عالٍ: «اتمنى لك عيداً سعيداً، يا سيرينا، وماذا احضرت لي؟» فتح الكيس وحاول ان يسترق النظر الى داخله.

ابعدت يده قائلة: «ولا أي واحدة من هذه. الهدايا لا يمكن أن تقدم إلا مع الجميع.»

ابتسم وقال: «آه، يا لك من تقليدية.»

«أنت محظوظ، يا والدي.» ضحكت كريستين لارتباك سيرينا: «لقد أمضى فترة الصباح بكاملها وهو يزيّن ويرتب المكان.»

ضحكوا جميعهم، كانت لحظة تنذر بعيد رائع، حتى الطقس الملبد بالغيوم بدا لصالحهم لأنه جعل طعم ديك الحبش المخصص للغداء اكثر لذة. كانت جيليان سعيدة بحضور سيرينا لقضاء طوال اليوم عندها، إلا انها أي سيرينا كانت تشك بأنه ليس لدى شقيقة آرون أية فكرة عن مدى صداقتها به، فقد كان آرون حذراً لئلا يبدو لطيفاً جداً معها، لذلك فمعظم نظراته إليها كانت خلسة سريعة دون ملاحظة الآخرين.

جعلت سيرينا الجميع ينتظرون إلى ما بعد الغداء للحصول على هداياهم، قائلة بعد رؤية اوراق الهدايا

منتشرة حول الغرفة بأنهم قد تسلموا العديد من الهدايا حتى ذلك الوقت.

أخيراً، حملت سيرينا الهدايا الملفوفة بشكل انيق.

صرخت كريستين عندما فتحت هديتها: «ثوب سباحة! وقميص متلاءم! آه، يا سيرينا، لقد اعجبتني!» وضمتها بسعادة.

غطاءً مخرماً للمائدة ذو لون عاجي لجيليان، كان ثميناً وأصاب الهدف. دفتر خاص باليوميات صنع نيويورك من الجلد لجيرالد.

توترت اعصاب سيرينا عندما استغرق آرون وقتاً طويلاً لفتح هديته. هل ستعجبه؟ وشعرت بالقلق فمن الصعب شراء الهدايا للرجال.

اخيراً فتحها وحدق إلى النظارات الشمسية ذات الماركة الايطالية المحفورة بأحرف من ذهب عند احدى الزوايا. رفع عينيه إلى عينيها، بذعر وقال لها يلومها: «سيرينا... شكراً لك... الا أنك لست مضطرة، تعرفين.»

آه، ينبغي عليها أن تعرف بأنه سوف يلاحظ الماركة الجيدة، وتمنت ألا يعتقد بأنها تحاول شراء حبه.

«نظارات شمسية!» اعلنت كريستين بفرح عندما اخرجها والدها ببطء من الغلاف: «ضعها، ضعها.» فعل كما طلبت وحدقوا جميعهم به. الإطار الناعم الذي يطوق النظارة راق له وجعله يبدو كنجم سينمائي قالت كريستين بحماس: «ووو! توم كروز، مت غيظاً!» آه، يا والدي، إذا وضعت هذه النظارات في المسبح ورميت المنشفة التي اعطيتك اياها على كتفيك سيغمى على

النساء. من الأفضل أن لا تذهبي معه، يا سيرينا. فسوف تغارين.»

ضحك آرون ورفع النظارة، ثم اعادها إلى غلافها: «سيرينا لا، فهي ليست من النوع الذي يغار.» التقت عيناه بعينيها وقد رأت كم جعلته سعيداً تلك الفكرة. لقد نبهتها بقوة إلى أنه ما زال متأثراً بعد زواج من امرأة غالباً ما كانت امتلاكية. قومي بدورك ببطء وهدوء، يا سيرينا. ببطء وهدوء..

قالت كريستين: «قدم لسيرينا هديتها الآن، يا والدي.»

تدخلت جيليان: «نعم، يا آرون، أين خبأتها؟»

اعترضت سيرينا: «لكنني لن أقبل أي شيء، فقط تمضية يومي هنا يكفي.»

تدخل جيرالد بقوله: «لا تكوني حمقاء، العيد هو لتقديم الهدايا.»

وقف آرون وذهب باتجاه طاولة في زاوية الغرفة وسحب رزمة صغيرة كان قد خبأها في الجارور، كانت ملفوفة بورقة فضية مزودة بوردة ذات لون زهري، قال لها شارحاً بلطف: «لقد قررنا شراء شيئاً واحداً ثميناً أفضل من شراء عدة اشياء صغيرة، إذا لم تعجبك يمكنك استبدالها.»

«سوف تعجبها.» قالت جيليان، وقد شع وجهها بابتسامة، أضفت على معالمها القاسية تعبيراً دافئاً لطيفاً.

شعرت سيرينا بأنها مضطربة وفرحة بشكل ساخر بينما هي تفتح الهدية. حجم العلبة أوحى لها بأن ما بداخلها هو

من المجوهرات، إلا أنها حتماً لم تتوقع أي شيء أجمل مما هو امامها. انه خاتم، خاتم جميل من اللؤلؤ، واللؤلؤة كبيرة تتألق في وسطه محاطة بالماس تجمعت على حزام من الذهب.

نظرت خلسة باتجاه آرون، غير قادرة على إيجاد الكلمات المناسبة لتقولها.

ابتسم وخطا باتجاهها، منحنياً ليأخذ العلبة من بين أصابعها المتوترة، ساحباً الخاتم من علبته ووضعه في الأصبع الثالث من يدها اليمنى وقال لها: «حسناً، على الأقل لقد ناسبك.»

حدقت بيدها، ما زالت اصابعها ترتعش من جراء ملامسته. جاهدت اخيراً لتقول: «إنه... إنه رائع، لكن...»

ضحكت جيليان: «من دون لكن، قال آرون لا بد انك تحبين اللآلىء لأنك تملكين بعضها.»

«لكنه باهظ الثمن!»

حركت كريستين يدها: «آه، يستطيع والدي تقديمه، إنه ميسور إضافة إلى أن العم جيرالد قد اختاره.»

ابتسم جيرالد: «أنا ايضاً استطيع تأمين ثمن خاتم كهذا.»

قال آرون مازحاً: «أترى؟ بالطبع إن أصريت، فبإمكاننا إرجاعه واستبداله بشيء اكثر فعالية، مثلاً آلة لتحميص الخبز.»

خبأت يديها تحت ذراعيها وقالت لهما محذرة: «فقط حاولا وانتزعاه مني!»

ضحكوا جميعاً.

اقترح جيرالد: «حتى الآن وقد أنهينا كل شيء، هل يريد احدكم أن يلعب الشطرنج؟ بإمكانك اللعب يا سيرينا، ألا تقدرين؟»

قالت سيرينا معترفة: «اقدر بالطبع.»

«عظيم.»

«هل هناك شيء لا تستطيعين فعله؟» ازعجها آرون بينما كانا يجلسان إلى الطاولة الخاصة بالشطرنج، بينما كان جيرالد وجيليان في المطبخ، يحضران بعضاً من الشراب والبندق، وكريستين خرجت لزيارة احدى الصديقات القريبات لتريها رداء البحر الجديد.

تظاهرت سيرينا بأنها تفكر بالموضوع جدياً ثم أجابت: «انقاذ غريق؟»

هز آرون رأسه: «سأراهن على انك تستطيعين فعل ذلك ايضاً. كل ما عليك فعله هو الوقوف على الشاطىء والتلويح له بيديك وعندها سيتعافى سريعاً.»

نظرت إليه نظرة لوم.

اعترف آرون قائلاً: «حسناً، إنني أبالغ، لكن عديني بشيء واحد، ان لا تعطي تنفساً اصطناعياً لإنعاش أي كان!»

كانت ابتسامتها لطيفة حين أجابت: «ولا حتى أنت؟»

تأوه وقام ليصل إليها عندما اتى جيرالد إلى الغرفة.

همس آرون: «سأنال منك لاحقاً.»

لكن لم يكن هناك لاحقاً في ذلك اليوم لآرون وسيرينا، فعند الساعة السابعة لم تكن سيرينا تشعر أنها بخير، فقد شعرت بالغثيان فأتت ببعض الأعذار بشأن إضطرارها للذهاب إلى البيت وانتظار إتصال من شقيقيها.

مع ذلك، فقد أخبرت آرون بانها تشعر ببعض التعب عندما سار معها إلى حيث دراجتها النارية، فقال بأنه سيحضر في اليوم التالي ليطمئن عليها.

كانت ردة فعل سيرينا الأولى هي الرفض، فقد كانت تكره الضوضاء عندما تشعر بالمرض، إلا أن آرون اقنعها اخيراً بأنه يريد أن يكون معها فعلاً، لذا رضيت.

استقلت دراجتها، مبتسمة عن رضى، قالت له محذرة: «لكن إذا بدأت تمسك يدي وتحضر لي اكواب الشاي، فسأمزقك ارباً. لا استطيع تحمل هذا النوع من الأمور.»

بدا وجهه متسائلاً: «إذاً ماذا يفترض بي أن أفعل؟»

اقترحت قائلة: «إجلب شريط فيديو، الانشغال هو افضل علاج.»

«أي شريط؟ لا أعرف ما قد شاهدت؟»

«إختر واحداً على ذوقك لكن لا تحضر شيئاً مخيفاً.»

«موافق.»

ودعها ثم قال لها: «اكره تصورك وحيدة ومريضة في ذلك البيت.»

هزت كتفيها: «سأبقى حية.»

فقال بغضب: «أنت فعلاً تعرفين كيف تجعلين الشخص يشعر بحاجتك اليه!»

لا بد وأن تعبير وجهها قد اظهر بأنها وجدت موقفه محيراً، لقد اعتقدت دائماً بأنه احبها مستقلة.

هز رأسه بإنزعاج واضح: «لا بد أنني مجنون... يجب أن اكون مسروراً بكونك كما أنت... الا أنني احياناً...» تعبير غريب بدا على وجهه وقد بدا للحظة تائهاً، مضطرباً. تنهد

قائلاً: «العادات القديمة تموت بصعوبة، على ما اعتقد، من الأفضل أن ترحلي. سأراك غداً، بعد الغداء.»

أنها تعاني ارتباك معوي، ربما بسبب تناولها الكثير من المكسرات طوال فترة بعد الظهر.

في الصباح التالي كانت تشعر بأنها بحالة افضل تقريباً، ولم يكن هناك أثر لأي شيء.

نزلت إلى الأسفل بعد الساعة الحادية عشرة وبدأت بإعداد فطور خفيف لنفسها.

الفصل الحادي عشر

وصل آرون قبل الساعة الثانية تقريباً، وقد احضر معه فيلم شريط فيديو يحمل عنوان خارج افريقيا، الذي ولحسن حظها لم تكن قد شاهدته بعد، هذا بالاضافة إلى بعض من شرائح ديك الحبش البارد والسلطة، مجاملة من جيليان.

اخبرها آرون: «إنها فعلاً تحبك.»

«حسناً، لا داعي لأن تبدو مندهشاً هكذا.» ابتسمت، وكانت قد قررت عدم اظهار القلق. سيرينا ليست بالشخص المتشائم، لقد تعلمت عبر السنين ان معظم الأشياء التي يقلق بشأنها الفرد لا تحدث ابداً، لذا تأقلمت تدريجياً مع فلسفة معينة وهي ألا تقلق إلى أن يصبح الأمر محتماً. لقد كانت والدتها متشائمة، وكذلك والدها، ربما لهذا السبب قررت اخيراً أن لا تكون كذلك.

«لا تبدين سيئة الحال كثيراً.» قال آرون ذلك بينما هي تسير امامه إلى المطبخ. وعندما نظر في وجهها قال: «شاحبة قليلاً. هل تتألمين؟ لقد أحضرت لك بعض المسكنات إلا إذا لم يكن هناك أي ألم.»

لقد اسعدتها مبادرته إلا أنها هزت رأسها نافية وقالت: «إنني أتأقلم عادة مع الالم.».

فكرت بحزن وقد أدركت بالضبط ما جاء به إلى هنا، فهو ليس مختلفاً عن الآخرين، وهي فقط الغبية تصدق ما تريد

تصديقه وتبني آمالاً لأنه دعاها لتمضي العيد مع عائلته، بل وأهداها خاتماً، بينما في النهاية ليست سوى لبلوغ غاية ما.

مد آرون يده ليمسك ذقنها وليجبرها على النظر إليه: «أنا لا استحق ذلك، يا سيرينا. فأنا لست ذلك الفاسد والأناني، انها أنت من اريد أن اكون معها، وليست امرأة أخرى.»

صدر عنها شهقة صغيرة اشبه بالنحيب، وقالت في: «اعتقدت...»

قاطعها قائلاً: «اعتقدت ماذا؟»

«أنا... اعتقدت بأن كل ما اردته مني هو مجرد صداقة عابرة.»

«متى قلت ذلك، يا سيرينا؟ اتذكر بأنني قلت بأنني اريدك. هذا لا يعني بالضرورة ما اعتقدته... اعتقد بأنني أبرهن عن ذلك الآن.»

«نعم... نعم، ربما كذلك.»

قال لها بلطف: «لا تغضبي يا حبيبتي. إصغي إلي، لقد كنت افكر... يبدو وكأنني سأكون قادراً على الانتقال إلى هذا البيت في خلال اسبوعين. المحامي يقوم بعمل سريع. عندما انتقل فعلاً إلى...»

«نعم؟» إنه على وشك أن يسألها الانتقال معه ما جعل قلبها يخفق بشدة.

«لا اريدك أن تشتري منزلاً صغيراً رخيصاً. دعيني اشتري لك شيئاً رائعاً فعلاً، إنه أقل ما يمكنني فعله.»

لم تستطع سيرينا احتمال رعشة النفور التي سرت في

جسدها. اغمضت عينيها، فافكارها متعبة. بعد كل هذا يأتي ويقدم عرضاً مذلاً كهذا.

كان صوته يحمل أمل حين قال: «فهمت، لقد قلت مجدداً شيئاً مهيناً. تباً، لا ابدو بأنني قادر على نقل الشيء الصحيح في ما يتعلق بك. هل استطيع؟ ما الذي يجري معك؟ ما الخطب برجل يهتم بامرأة، فيشتري لها مكاناً لتعيش فيه؟»

قالت بعنف: «لا شيء، هذا اذا كانا متزوجين، لكن عندما نتمكن من إيجاد امرأة محتشمة ستستاء من اقتراح كهذا. لن نستطيع الحصول على كعكتك وطعامك ايضاً يا آرون. انت تريد أن تكون حراً في الذهاب والإياب كما تحب. ثم تعطيني الحقوق نفسها. لكنني لن احصل عليها وأنت صاحب البيت! نتوقع مني أن اكون تحت تصرفك، مهما يكن ومتى أحببت.»

حرك يديه، وبدأ يسير جيئة وذهابا عبر الغرفة. قال متبجحاً بكلامه: «لا اصدق ذلك، كنت سعيداً جداً عندما كنت آتياً إلى هنا. سعيداً جداً. أما الآن...»

ضرب على طرف طاولة المطبخ: «لا، بالطبع لم افكر بتاتاً بأنك كذلك! اعتقدت انك امرأة رائعة، جميلة، مدهشة، مرحة، قوية.» بدأ يخطو باتجاهها، تغيرت تعابير وجهه الهادىء إلى غضب سريع بينما تابع: «وايضاً عذبة... وفتية... وتقليدية في بعض النواحي. وأنا لا استطيع احتمال التفكير بحياتي من دون أن تكوني فيها.»

كانت سيرينا مبهورة بعاطفته الجياشة والطريقة الرائعة الدافئة التي كان ينظر بها اليها وكل ما استطاعت فعله هو مبادلته النظرات بشوق لأن يقول ما في قلبه.

لكنه لم يفعل.

قال عوضاً عن ذلك: «أنا اهتم بشأنك كثيراً... اعترف بأنني ما زلت لا اريد الزواج والارتباط. ذلك لم ولن يتغير. إلا أنك لست حتى من ذلك الصنف من الأشخاص، هل أنت كذلك يا سيرينا؟ لو كان الزواج والأطفال هو ما تطمحين إليه لكنت مشيت في ذلك الطريق الطويل منذ مدة. اعتقد بأنك تريدين ما اريد. الأصح هو أن نكون منفردين، ليكون لكل واحد منا مداه الخاص، لكن أن نكون معاً في الوقت نفسه.»

انه مخطىء، مخطىء جداً، ولو قالت له ذلك فإن صداقتهما ستنتهي. كل ما تستطيع فعله هو أن تكون بجانبه مع كل ما يريده في تلك اللحظة وتحتفظ بالأمل، لأن كرهه للزواج او الارتباط سيقل حتماً.

«إذاً، تقرر كل شيء، أنت على الأقل ستدعينني اساعدك في البحث عن مكان، شقة قرب البحر ربما؟»

رسمت ابتسامة على وجهها انها مضطرة إلى الموافقة على قراره وقالت: «سأحب ذلك.»

كانت تنهيدته مليئة بالاطمئنان: «ارتحت الآن بعدما انهينا كل التعديلات. لحظة، أنا اعتقد...» هز كتفيه، ثم تابع:

«آه، حسناً لنشاهد فيلم خارج افريقيا اذاً.»

فكرت سيرينا كم أن ذلك غريباً، فمن بين كل الأفلام في العالم، فرض عليه اختيار فيلم حيث تمحورت قصة الحب الرئيسية حول امرأة ارادت واحتاجت ضماناً للزواج، ورجلاً متحرراً يتحفظ من أي ارتباط. لكنه كان بالفعل فيلماً مدهشاً، مثيراً للمشاعر والأفكار.

علقت متألمة عندما اتت المشاهد الأخيرة: «اعتقد، لو أن البطل لم يقتل لكان تزوج من كارين.»

اعترض آرون: «لا اعتقد ذلك، فقد كان محدداً جداً في مواقفه. على أية حال، ليس هناك دليلاً على افتراضك. لقد قتل. إنها قصة واقعية، ليست من اختراع هوليوود.»

«اتكهن بأنك على حق.» تمتمت سيرينا فهي لا تريد المجادلة مجدداً. بالإضافة الى انه كان هناك بعض الانفعال في صوته حذرها بأن تنهي الموضوع.

سألته: «هل تحب تناول فنجان من الشاي؟»

لقد استمتعا بتمضية ساعتين اضافيتين يتحدثان فقط عن الأفلام المتنوعة التي تمتعا بمشاهدتها. ذوقهما كان متشابهاً، لا احد منهما يحب الأفلام التي ليس لديها ما تعرضه إلا العنف غير المبرّر.

اخيراً نهض آرون وهو يتنهد: «عليّ الذهاب. لقد وعدت كريستين أن أصطحبها إلى المطعم الصيني الليلة. كنت اود أن اسألك المجيء أيضاً لكنني اعتقد بأنها تهدف لأن اكون معها لوحدها ولو لمرة.»

ابتسمت سيرينا، وسارت معه إلى الخارج حتى السيارة وسألته: «بالطبع، هل استطيع رؤيتك غداً؟»

جلس خلف المقود، انزل زجاج النافذة وابتسم لها: «سؤال سخيف.»

«متى؟»

«الساعة السادسة. ما رأيك بالعشاء خارجاً ومشاهدة فيلم آخر؟»

«عظيم ستبقى هنا عند جيليان، اليس كذلك؟»

«حتى نهاية العيد، بعدها سأعود إلى سيدني. إبقي حرة في آخر يوم من العيد، هل تقدرين؟»

سألت باشراق:

«هل سنذهب إلى أية حفلة؟»

كانت ابتسامته ساخرة: «ليس تماماً. سوف آخذك إلى غرفة مليئة بأصدقائي الوقحين. وأمضي طيلة السهرة على ابعاد انظارهم. ما اخططله حتماً هو أن تكون الحفلة لإثنين فقط!»

حاولت سيرينا أن تأخذ كلامه على أنه مزاحاً كما كان ينطق به. لكن في اعماقها تمنت أن يأخذها إلى حفلة ويعلن على الملأ تباهيه بصداقتهما. هل هو قلق، ربما، قد يثور غاضباً من الغيرة ان هي ابتسمت لرجل آخر؟ أو هو فقط يريد حجبها عن الآخرين؟ انها تريد أن يحبها آرون ولكن ليس بتلك الطريقة!

خطت خطوة إلى الوراء وضمت ذراعيها معاً، فقال مقطباً: «لا يمكن أن تشعري بالبرد.»

«لا بد وان أحداً مشى فوق قبري.»

كلمة قبر جعلته يقطب جبينه بشدة اكثر. وسارعت سيرينا إلى تلطيف الموقف فقالت تحثه: «هيا اذهب كي لا تقلق كريستين عليك.»

إختلس نظرة إلى ساعته وقال وهو يدير محرك السيارة وينطلق في الطريق: «أجل من الإفضل أن اغادر، اراك لاحقاً.»

تنهدت سيرينا عندما انعطف عند الزاوية في اسفل التل. تساءلت، لِمَ لم تستطع أن تغرم برجل بسيط غير معقد، رجل

يريد ما تريده هي تماماً؟ زواج... استقرار... عائلة... بدلاً من ذلك. كان عليها أن تشبك نفسها مع آرون. هل احبها حتى الآن؟ سألت نفسها عدة مرات. استدارت سيرينا بعد ذلك ومضت بصمت إلى المنزل.

www.elmaktabeh.com

الفصل الثاني عشر

إنه نهاية الأسبوع الأخير من شهر كانون الثاني (يناير) وفي فترة بعد الظهر من يوم السبت، حيث كان آرون سينهي عملية إستئجار الشقة الخاصة بسيرينا لأنها قررت الاستئجار لا الشراء. وقد قررا، آرون وكريستين، الانتقال للسكن في البيت فور إنتهاء سيرينا من نقل حاجياتها الشخصية.

تلك كانت الخطة على الأقل.

لكن كل شيء قد تغير الآن...

جلست سيرينا إلى طاولة المطبخ ورأسها بين يديها. حقيقة وضعها قد اصبحت واضحة اخيراً، فأخذت الدموع تتجمع في مقلتيها وتجري فوق وجنتيها، من خلال اصابعها. من الصعب أن تصدق الأمر.

البكاء لن يجدي نفعاً. ولن يحل أية مشكلة كما وان الاستمرار على هذا الحال لا يجوز على الاطلاق.

لكن، عندما اقترب موعد وصول آرون، اقتنعت سيرينا اخيراً بعدم مقدرتها على مواجهته بعد اليوم، كما ولا يمكنها البقاء ولا السكن هنا، طالما هو مستمر بعناده بعدم الزواج منها.

حزمت حقائبها وهي تتحرك ببطء، ثم اتصلت تطلب سيارة أجرة، بعدها جلست على الدرجات قرب الباب الأمامي، ورأسها بين يديها، وقالت في نفسها: تقبلي الأمر. يجب ان ينتهي كل شيء.

الغريب في الأمر أنها لم تعد تشعر بالرغبة في البكاء. بل شعرت بالهدوء والعزم على الأقل كانت كذلك، حتى وصول آرون. لقد وصل، مبتسماً، وحين رأى حقيبتها، قال وهو يتوجه نحو الباب الأمامي: «سعيد لرؤيتك جاهزة، يا حبيبتي.»

ادركت، بأن الوقت قد حان لإخباره بأنها قد غيرت رأيها، بالنسبة للسكن هنا معه، وأنها تريد العودة إلى كونزلاند لتعيش بمفردها. أرادت أن تخبره الأمر بكل هدوء ولطف، لكن التوتر جعل كلماتها تصدر من دون تفكير، أو أي احتمال بتلطيف محتواها.

حدق آرون بها، بعينين حائرتين وتعبير رهيب فوق وجهه.

كرهت رؤية الصدمة، والألم فوق محياه الوسيم، لكن بعد قول كل شيء، ادركت بأنه ليس هناك طريقة اسهل لقول شيء كهذا.

اخيراً ترك حقيبتها واستدار قليلاً ليغلق الباب قبل أن يعود ويواجهها مرة ثانية: «لا أصدق ما سمعته لتوي يا سيرينا! ولا أية كلمة! لقد حدث شيء ما لا علم لي به. ما هو؟ هل هي تلك الرسالة اللعينة التي تلقيتها من صديقك القديم؟ بول، لا تبدي الدهشة، أنا لم أقرأها، فقط حملت الرسالة وقرأت الاسم.»

نظرت إليه، وقالت: «لا، بول لا يريد عودتي. لقد كتب رسالة ليبلغني بأنه سيتزوج ويتمنى لي حياة طيبة.»

«لقد فهمت، إذاً لست المخدوع المسكين الأول الذي تتخلين عنه. لا بد وأنك تحبين الرجال وتتخلين عنهم منذ سنوات! لا تقولي بأنك تعرّفت إلى شخص آخر؟»

أجابت: «لا، طبعاً لا!»

جالت نظراته فوق وجهها: «ما الأمر، إذن؟ اخبريني، يا سيرينا، أرجوك.»

همست قائلة: «لا استطيع.»

قال بصوت أجش: «لا تستطيعين، يا سيرينا؟ أو لا تريدين، تبّاً لا يمكن أن تتوقعي أن ادعك ترحلين من دون اعطاء أي تفسير. استحق ذلك على الأقل، أليس كذلك؟»

رأت أنه يصر عليها أن تقول شيئاً، أن تعطي سبباً، مهما كان الأمر وبدأت مترددة: «إنه... إنه ليس سبباً واحداً. الأول هو أنني... أنني لم اكن يوماً قادرة على الاستقرار في مكان واحد لمدة طويلة، فمتى اصبحت غير مرتاحة، انتقل إلى مكان آخر. إنني فعلاً احبك يا آرون كثيراً جداً. اعتقدت أنني اردت صداقة طويلة الآن لكن أنا... أنا بدأت اشعر... بالاختناق.»

حدق بها وقال: «الاختناق؟» كان عدم التصديق بادياً في صوته ونظراته. من الواضح أنه لم يقتنع.

تابعت كلامها: «أجل... أنت رجل غيور ومتملك، يا آرون. لا استطيع التعامل مع امر كهذا. اولاً ذلك الحادث مع كريغ... ثم حفلة العيد.»

«حفلة العيد! اللعنة، نحن حتى لم نذهب لحفلة العيد!»

أجابت: «اعرف! ذلك فقط هو الموضوع. لِمَ لم نفعل؟ سوف اخبرك لماذا. لا تريد أن ينظر إليّ أي شخص آخر كي ابقى لك وحدك.»

استطاعت أن ترى بأنه قد بدأ يصدقها، لأن ما تقوله كان يحمل جزءاً من الحقيقة. «وماذا سنفعل عندما تعود إلى

العمل ولا نمضي معاً الأوقات الطويلة؟ سوف اكون دائماً في الدرجة الثالثة. سوف اكون بمثابة كابوس لك!»

نظرت بعيداً حتى لا ترى الصدمة بتعابير وجهه، وخشية أن ترمي بنفسها بين ذراعيه في أية لحظة وتخبره بأنها تريد الزواج منه!

تمتم قائلاً: «إنني افهم الأمر. لم ادرك أنني سيء لهذا الحد. في الحقيقة أنا...» توقف عن الكلام وحدق فيها طويلاً، وكأنه يبحث في وجهها لعله يستطيع أن يعرف ما يجول في ذهنها. أخيراً ظهر بريق قاس في نظراته وقال: «اعتقد أنه ليس باستطاعتي القيام بأي شيء لإقناعك بالعدول عن قرارك، لا شيء يمكن قوله ولا أي تأكيد يمكنني ان اؤكده لك.»

«لا.»

«انظري إلي، عندما تقولين ذلك، تبّاً لك.»

رفعت اهدابها، غير قادرة على منع الدموع من التجمع في عينيها. رأى الدموع فهز رأسه، وبدت تعابيره غاضبة حين قال: «اتدركين ما تفعلين بي. الديك فكرة؟»

«نعم.»

«يجب أن اتمنى لك الأسوأ.»

نظرت إليه، مدركة انهما يتخبطان معاً في الأسوأ في تلك اللحظات.

خطا خطوة غاضبة باتجاهها، ثم رفع يده لتلامس وجنتها.

صرخت قائلة وهي تبعد يده: «لا تفعل، أرجوك لا...» ثم خيم صمت طويل.

سأل أخيراً بصوت خال من أي تعبير: «هل سترحلين اليوم؟»

هزت رأسها ايجاباً.

«ماذا عن الشقة؟ هل اتصلت بوكيل المبنى وقلت بأنك لن توقعي العقد؟»

أجابت: «أجل، استقلت من عملي أيضاً.»

«هذا هو كل الأمر، إذن، أليس كذلك؟ اعتقد أنك تريدينني أن اقول وداعاً بالنيابة عنك لجيليان وكريستين.»

قالت بتوتر: «إذا سمحت.»

حركة كتفيها العدائية اللامبالية عكست ألماً اكثر من الكلمات نفسها، فقال: «ولِمَ لا؟ ماذا عن مفاتيح البيت؟»

«تركتها على طاولة المطبخ.»

«كم أنت منظمة، يا سيرينا.»

تقبلت سخريته بابتسامة حزينة. انها ليست منظمة على الاطلاق، وقالت: «الوداع يا آرون.»

«لا تلوميني إن لم أخرج لوداعك.» حدق فيها للمرة الأخيرة ثم استدار ودخل إلى المنزل.

لن تعرف سيرينا ابداً كيف وصلت إلى منزل روبرت ذلك اليوم. كانت قد وضعت حقيبتها على الدراجة ورحلت، العجلات تدور والدموع تجري فوق وجهها، غير آبهة إن ماتت أو بقيت حية.

كانت الرحلة طريق لا نهاية لها من الألم والعذاب. لقد تعاملت مع الموضوع بشكل خاطىء تماماً. كان يجب أن تخبر آرون بالحقيقة، أن تقول أي شيء إلا أن تدعه ينظر إليها كما فعل، بكل ذلك الكره، يمكنها أن تتحمل أي شيء إلا هذا!

لقد تاهت عن الطريق عدة مرات وتوجب عليها أن تسأل عن الاتجاه الصحيح، ولكن في النهاية وصلت إلى فيلا روبرت الفخمة، التي بنيت في شارع خاص في حي اسمه سانس سويس. إنها متوسطة الطراز، مع قناطر على المدخل، قرميد مكلل باللون الأبيض وبالعديد من النباتات.

عندما وصلت كان يشاهد سباقاً للسيارات على التلفاز بينما زوجته عند مزين الشعر تستعد لقضاء أول ليلة سبت في المسرح بعد عودتها من رحلة الاستجمام. كان يجلس على الاريكة المزودة بوسائد كبيرة، فلوّح لسيرينا بنفاد صبر لتدخل ثم لتجلس على المقعد القريب. لكن عندما اعلنت سبب مجيئها انتفض إلى الأمام وجلس على حافة المقعد، واطفأ جهاز التلفاز، بواسطة جهاز التحكم البعيد.

قال: «أنت ماذا؟»

«قلت بأنني تركت آرون كينغسلي.»

حدق روبرت في وجهها للحظة، بدت عيناه الزرقاوان قاتمتين. لكن بعدئذٍ عاد ذهنه للعمل وتنهد واسترخى على الوسائد. «حسناً، حسناً.»

ثم تابع: «إذاً لما تخبرينني؟ انت حتماً لا تتوقعين مني أن العب دور الشقيق الكبير بعد كل هذه السنوات؟ لطالما كنت تظهرين بوضوح احتقارك لي ولفيليب بقدر احتقارك لوالدك.»

فغرت فمها وشهقت.

بدا الاندهاش الحقيقي على وجهه: «لما تحتقرينا جميعاً؟»

«طبعاً لا. ابداً! أنا... أنا اعتقد أن الأمر بعكس ذلك تماماً. لطالما كنت انت وفيليب متفوقان و... ساخران... وبالنسبة لوالدي، لم يكن لديه الوقت لي. اعتقد أنني لست سوى... سوى...»

اقترح روبرت قائلاً:

«فاسدة الأخلاق.»

«ربما ليس لتلك الدرجة من السوء...»

قال روبرت بجرأة: «أحبك والدي كثيراً ربما أكثر من حب والدتي لك. لكنه... هو...»

تنهد روبرت. «لقد كنت اميرته الصغيرة، يا سيرينا، اميرته البريئة العذبة. وفجأة كبرت.. لم يستطع التعامل مع ذلك، لم يستطع التعامل مع فكرة أن كل الفتيان، والرجال - قد بدأوا ينظرون إليك، لم يعلم ما بامكانه فعله حيال ذلك، لذا اصبح يغضب، ويلقي باللوم عليك، حتى جعلك تغادرين، كان الأمر الأسهل من أن يشعر أنه غير قادر على معالجة الوضع.»

«لم اعرف ابداً... لم ادرك ابداً...»

«انت تعلمين يا سيرينا، أنك كنت بريئة بشكل مدهش. لكن ربما ذلك ما جعل الفتيان يلاحقونك. حساسيتك المدهشة قد مزجت مع براءة رهيبة، ما جعل فيليب يجن عندما بدأ اصدقاؤه في المدرسة يتجمعون حول البيت عندما بدأت تكبرين، فقط لرؤيتك، بالطبع مسكين فيليب، لطالما عانى من اكتساب الاصدقاء، خاصة الفتيات، لذلك كان يكرهك ويتصرف بسوء وعدائية نحوك، لأنه كان يغار من طريقتك في اجتذاب الآخرين.»

هزت سيرينا رأسها قائلة: «اشعر بالغباء لعدم معرفتي بكل ما ذكرته.»

«لا تقلقي، لقد نجح فيليب وإيفون تحبه بجنون. إنهما ينتظران مولوداً في السنة المقبلة.»

«آه، أنا مسرورة لذلك.»

قال روبرت فجأة: «اريدك أن تعرفي بأنني سوف اقوم بعمل ربما يتصف بالغباء مثل منحك حصتي من ثمن البيت لتتدبري أمورك.»

فغرت سيرينا فمها.

اعترض قائلاً: «لا تنظري إلي بتلك الطريقة. على شخص ما أن يقوم بعمل ما. اعتقد أن السيد كينغسلي لا يريدك حقاً، ولهذا السبب انت هنا. هل أنا محق؟»

قالت: «ليس تماماً، لكنني لم استطع أن افكر بأي مكان آخر اذهب إليه.»

لم يكن هناك مجال لشرح قرارها من دون اخبار روبرت بالحقيقة كاملة. لقد استغرق الأمر بعض الوقت لكن لدهشتها شقيقها الأكبر استمع بصبر شديد، حتى انه كان يقدم المحارم ويربت على كتفها عندما كانت تبدأ بالنحيب.

قال بعد أن انهت كلامها: «الآن دعيني اوضح لك الأمر، السبب الحقيقي من وراء عدم ارادة آرون بالزواج، هو لأنه لم يعد باستطاعته أن يتعامل مع هذه مسؤولية كهذه في هذه المرحلة من الوقت لكنه مع ذلك قد يتقبل الوضع في النهاية.»

قالت وقد رأت أن روبرت قد وصف الوضع بدقة ووضوح: «معك حق.»

«لذا كذبت وتركته، لأنك تحبينه.»

«حسناً... نعم.»

«آه، يبدو الأمر وكأنه مقطوعة من اوبرا!»

هز رأسه غاضباً، لكن عندما بدأت ترتعش، بصورة خطرة تحول تعبير وجهه إلى محب. كانت سيرينا مندهشة. حين سمعته يقول: «اعتقد أن على عائلتك مساعدتك. إذن.»

بدت مترددة: «فقط إذا كنت استطيع البقاء لليلتين، فعلى ما اعتقد انني استطيع العودة إلى كوينزلاند واستعمال نصيبي من الارث لشراء شقة صغيرة. إن الاسعار ارخص في تلك الأنحاء من هنا، وافتش في تلك الاثناء على عمل ما.»

«حتماً لا!»

«لا؟»

«آه، يمكنك الذهاب إلى كوينزلاند إن شئت. لا استطيع أن اقول لك أين تعيشين، لكن يجب أن لا تعملي وأنت في تلك الحالة. أنت تعرفين أنني اعني ما اقول، حول منحك حصتي من المنزل. أنا فعلاً لا احتاجها. في تلك الحالة يمكنك شراء منزل لائق بنصف القيمة ويبقى لديك الشيء الوفير يعطيك مدخولاً يسيرا.»

قالت: «لكن... لكن لا استطيع أن ادعك تقوم بذلك! اعني، انني تأثرت كثيراً وممتنة كثيراً ولكن ذلك ليس عدلاً. لن اقبل بذلك.»

تنهد روبرت: «مثالية، لطالما كنت مستقلة، ما رأيك بقرض، تردينه بعدما تجدين العمل المناسب.»

عادت الدموع لتتجمع في عينيها. «روبرت... لا ادري ما اقول...»

«كلمة شكراً تكفي.» كان صوته البارد في طبيعته متأثراً.

همست قائلة: «لكن ماذا عن زوجتك؟ ألن تعترض؟»

«لا على الاطلاق.»

«آه يا روبرت... كم انت طيب.»

الفصل الثالث عشر

كانت سيرينا قد استقرت في شقتها الجديدة منذ ثلاثة أشهر عندما اتصل فيليب بها فجأة في إحدى الليالي. لم يكن الإتصال منه غير عادي، فهو غالباً ما يتصل بها هذه الأيام، لكن ما كان غير عادي هو أن يكون غاضباً.

قال مجدداً: «انا فعلاً آسف. لم أقصد ان اخبره. أعلم أنك جعلتني أنا وروبرت نعد بألا نخبره مهما كانت الظروف لكن، عندما يغضب ذلك الرجل فهو يصبح مخيفاً!»

قالت بصراحة: «اخبرت آرون بسبب ابتعادي عنه؟» وشعرت بالاضطراب الشديد.

«طبعاً لا! لم أكن لأفعل ذلك، كان يريد عنوانك.»

«أنت اعطيته له؟»

«هاي، أنت لم تكوني هنا، لذا لا تحكمي علي بقسوة. ليس الموضوع موضوع غضب فقط، لقد هدد بتعيين تحر خاص لاقتفاء أثرك. قال إنه يعرف انك تعتزمين شراء شقة في مكان ما على الساحل الذهبي لذا لن يستغرق اي تحري جيد مدة طويلة ليعرف مكانك، شهر على الأكثر.»

كانت تنهيدة سيرينا غاضبة: «أمتأكد أنت أنه سوف يحضر لرؤيتي؟ ماذا عن رقم هاتفي؟ هل اطلعته عليه؟»

«لا، وبما انه ليس مدرجاً تحت اسمك، عليه ان يأتي إلى هنا لرؤيتك شخصياً أو ان لا يأتي على الإطلاق. أنني لم أر رجلاً عنيداً مثله!»

«آه...»

«حاولت الإتصال بك فور مغادرته لكنني لم أجدك في المنزل. بقيت أحاول الإتصال بك كل ساعة منذ ذلك الحين. فاين كنت؟»

استجمعت سيرينا قوتها قبل أن تقول: «في العمل.» كان روبرت وفيليب رائعان معها، روبرت قدم المساعدة المادية وفيليب قدم لها سيارة صغيرة ـ فقد قال، إنه من الصعب إعتبار الدراجة النارية وسيلة نقل مناسبة بالنسبة اليها، حيث أنها قبلت بالعمل كنادلة في فندق محلي.

قالت: «كنت في الخارج طيلة فترة بعد الظهر، هل تعتقد أن آرون في طريقه إلى هنا؟»

«ربما نعم... ربما لا. لكنني أعتقد بأنه سوف يحضر. اعتقد أنه سيحضر غداً.»

جالت أفكار سيرينا. غداً... لم تستطع التفكير... لم تعرف ماذا ستفعل...

جلست على الكرسي القريب من الهاتف، وقد شعرت بالاضطراب. يمكنها ان تختبىء منه. لكن هل هي واثقة من انها تريد ذلك؟ فقد مرت بلحظات كثيرة مع مرور الوقت ندمت فيها على قرارها. لقد اشتاقت لآرون كثيراً...

«سيرينا؟ هل أنت بخير؟»

«ماذا؟ آه، أجل يا، فيليب، أنا بخير.»

«أنت دائماً تقولين انك بخير، يمكنني ان احضر اليك في الصباح إذا كنت تشعرين بالقلق، ادعمك قليلاً.»

«شكراً لك يا شقيقي العزيز. لكنني سأكون بخير. حقاً.»

«آه، أنت لا تعترفين أنك بحاجة للمساعدة. إذا سكنت هنا في سيدني سنهتم بك أنا وروبرت.»

لكن كادت أن تقول بأن ذلك سيكون لأنها على الأقل ستكون قرب آرون.

لما آرون قادم لرؤيتها؟ لا يبدو انه يريد عودتها اليه، فهي لم تنس تلك النظرة الغريبة التي كانت في عينيه في ذلك اليوم الأخير، وجه قاتم ومؤنب. وقد مضى على الأمر ثلاثة أشهر، على كل حال لو أنه افتقدها لهذه الدرجة لكان حتماً أتى قبل هذا الوقت.

قال فيليب: «إذا كنت لا تريدين الكلام، يمكنني ان اقفل الخط انا أيضاً.»

«آسفة... لقد شردت بأفكاري بعيداً.»

«حسناً من الأفضل ان تفكري بما يجب القيام به قبل وصول آرون. فهذا الرجل لا يستطيع ان يتقبل كلمة لا ببساطة كجواب على سؤاله.»

تبادلا التحيات، لكن بعد أن وضعت سماعة الهاتف في مكانها، جلست سيرينا وأخذت تحدق في الفراغ وهي تفكر. لما هو قادم؟ لما؟

في النهاية نهضت من مكانها وراحت تنظف كامل الشقة، رغبة منها في القيام بأي شيء لا رغبة في التنظيف. لطالما فكرت في ان تعود إلى المنزل وتجد سيارته من نوع ال بي أم الزرقاء متوقفة على الطريق خارج المبنى بانتظارها.

لم تستطع سيرينا النوم بشكل جيد تلك الليلة، حتى انها لم تنم على الإطلاق. لقد فكرت في الإتصال بالفندق وإعلامهم بانها لن تحضر للعمل غداً، لكن ذلك يعني المجازفة بعملها.

وهي بأمس الحاجة اليه، لذا عند الساعة العاشرة صباحاً كانت خلف الطاولة الكبيرة كالعادة تخدم اول الزبائن.

«لم أرك هنا من قبل، يا عزيزتي.» قال الرجل الجالس إلى الطاولة الكبيرة.

هزت كتفيها وراحت تجفف الكوب: «إنني هنا منذ ثلاثة أشهر.» وتثائبت.

«هل تأخرت في الذهاب للنوم؟»

«نوعاً ما.»

تابع كلامه قائلاً: «يمكنك ان تكوني عارضة أزياء.»

«هل الأمر كذلك؟»

«أحب أن ألتقط صورة لك.»

«حقاً.»

«أجل... انني أجيد التصوير. ما رأيك؟ متى تنتهين من عملك؟»

لكن سيرينا استدارت مبتعدة.

«هيا، يا عزيزتي. لا وقت لدي للألاعيب.»

«هذا مؤسف للغاية.» جاء إلى مسامعهما صوت منخفض يحمل تهديداً. «كنت على وشك اعطاءك درساً في التدرب على البقاء.»

استدار كل من سيرينا والرجل بسرعة.

وضعت سيرينا الكوب على الطاولة بيد مرتجفة وقالت: «آرون...» كان قلبها يخفق بشدة.

قال: «سيرينا.» وأومأ باتجاهها.

يا للهول، بدا في حالة سيئة، لم يحلق ذقنه، عيناه تعبتان، ملابسه مجعدة.

لكن بدا في الوقت نفسه رائعاً، بكتفيه العريضتين ونظراته الفولاذية التي دبت الذعر في قلب الرجل الخائف الواقف بجانب الطاولة.

قال الرجل: «لا داعي للغضب، يا صديقي، كنت فقط اتحدث إليها، لم اتسبب بأي أذى.»

صرخ آرون: «ابتعد من هنا، هيا. أسرع!»

«طبعاً، يا رجل.» ورحل قبل أن ينهي العصير.

جلس آرون على الكرسي ورفع نظره إلى سيرينا، كان يبتسم ابتسامة واهية. «لم يتبدل شيء حولك على ما أرى.»

تمتمت بشكل ساخر مبطن: «آه، لا أعلم. هل أحضر لك شيئاً؟»

«لما لا؟»

«ماذا عن الطعام، هل أنت جائع؟ تبدو جائعاً.»

ظهرت تلك الإبتسامة مجدداً فوق شفتيه. «آه، أجل... أنا جائع...»

«سوف أطلب من ريكس أن يحضر لك اثنين من السندويشات. مازال الوقت مبكراً لموعد وجبة الغداء. فلم يحن موعد الطبخ بعد.» ثم ابتعدت للتحدث إلى الموظف الذي نظر اليها عن كثب قبل ان يومىء برأسه ويدخل إلى المطبخ.

بدت سيرينا واثقة تماماً فيما هي تعود ببطء، وتوقفت لتسكب كوب عصير لآرون في طريقها. وضعتها على الطاولة الكبيرة وقالت: «إليك العصير.»

قال: «محترفة جداً.» ورفع الكوب إلى شفتيه.

«لقد قمت بالعديد من التمارين.»

تابع رشف العصير ثم وضعه أمامه قائلاً: «لا يبدو عليك

الإندهاش من وصولي، اعتقد ان فيليب اتصل بك وحذرك.»

«نعم.»

«لقد ذهبت إلى مكان سكنك أولاً، وجارتك اخبرتني عن مكان عملك.»

«لا بد وانك سألت عني منذ لحظات، لقد بدأت عملي في الساعة العاشرة.»

اومأ وقال: «هل يمكننا أن نتحدث؟ هنا؟ الآن؟ إن الأمر هام بالنسبة لي، يا سيرينا.»

على الرغم من هدوء آرون الظاهر، فقد كان صوته ينم عن التوتر والإنزعاج، بينما بدا عليها كم كانت تضغط على نفسها لتبدو هادئة.

«اعتقد ذلك، لم يحن موعد الإنغماس في العمل بعد، سوف أتحدث إلى ريكس وأحضر السندويشات لك.»

«سوف انتظر هناك عند المائدة في الزاوية.»

ترددت سيرينا للحظة وهي تشعر بالقلق. لكن لا داعي لقلقها هذا.

عادت ووضعت السندويشات أمامه.

تمتم، وفي نظرته معان واضحة: «إنك تبدين بصحة جيدة.»

أجابت: «آسفة إذا كنت لا أستطيع ان أقول الشيء نفسه لك، لأنك تبدو في حالة سيئة.»

«إنها نتيجة قيادة السيارة طيلة الليل.»

«لما قمت بذلك، يا آرون؟ لم هذا الإندفاع؟ هل عليك مقابلة أحد في آخر لحظة من موعد العمل.»

كانت ابتسامته ساخرة حين قال: «سيرينا نفسها... فظة كما أنت دائماً.»

«لست فظة، يا آرون. بل مستقيمة. والآن هل تريد أن تخبرني لم قدت السيارة كل هذه المسافة وبسرعة؟ الأمر لا يتعلق بكريستين، أليس كذلك؟ ليست مريضة أو أي شيء من هذا القبيل؟»

أجاب بسخرية: «كلا.»

تنهدت سيرينا بارتياح.

«إنني أتساءل إذا كنت سألاقي القلق نفسه، ماذا كنت ستقولين لو كنت أنا المريض؟»

قالت وقد شعرت بالقلق: «أنت لست مريضاً، أليس كذلك؟»

«نعم.»

شحب لون وجهها.

ثم تابع يقول: «مريض بالشوق إليك، يا سيرينا. مريض بالإستيقاظ صباحاً وأنت لست بجانبي. مريض لأنني اعتقد بأنني تسببت في ابعادك عني.»

«آرون... أرجوك...» تلعثمت وهي لا تصدق ما كانت تسمعه كما ولا تجرؤ على تصديق عمق المشاعر التي كانت تنبعث من نبرة صوته.

قال: «أحبك يا سيرينا.»

ارتد رأسها إلى الوراء وانفاسها تتقطع تدريجياً. «أنت... تحبني؟»

«حباً كبيراً. وأنت يمكنك ان تقولي ما تشائين وأن تختلقي الأعذار التي تريدين، لكنني أعرف انك احببتني يوماً ما.»

قالت بدهشة: «كيف... تعرف؟»

«أعتقد انني لطالما عرفت، لهذا ادهشني رحيلك. فالأمر لم يكن منطقياً. حتى أن كرايغ يقول الشيء نفسه.»

قالت: «كرايغ؟»

«أجل، كرايغ. لطالما أخبرني انه هناك حتماً خطب ما، كان واثقاً من حبك لي. انت تحبينني؟ أليس كذلك؟»

أومأت برأسها بالايجاب لا شعوريا منها.

شعوره بالارتياح كان عظيما، وكان بإمكانها أن تخمن السؤال التالي الذي سيطرحه عليها. «إذاً، لما تركتني يا سيرينا؟ لا أصدق انك لم تشعري بالراحة معي، أو انني كنت غيوراً جداً، لقد كنا سعيدين معاً. أعلم اننا كنا كذلك! أيمكن أن يكون السبب هو انك اعتقدت ان لا مستقبل لك معي، لأنني رفضت أخذ مسألة الزواج والعائلة بعين الإعتبار؟»

اتسعت عيناها وانفرجت شفتاها عن تنهيده صغيرة.

تابع قائلاً بسرعة: «لا داعي لأن تقولي شيئاً. يمكنني ان أرى كل شيء في وجهك. آه، يا سيرينا... عزيزتي... كم كنت غبياً...»

تابع قائلاً بشكل عاطفي: «بعد رحيلك كدت أصاب بالجنون. لم تكن لدي اية فكرة عن مدى عمق حبي لك إلا بعد ان غبت عني. لم يكن الأمر مجرد صداقة عادية فقد، افتقدت إلى ضحكتك وإلى ابتسامتك، حتى إلى رؤيتك تقومين بأبسط الأشياء. حتى انني افتقدت سخريتك. لا استطيع ان أصدق كم كنت أعمى، وأنا أفكر ان سبب ذلك لما عانيته مع ناومي، فقرّرت بأنني لا أريد الحب ولا الارتباط بعد الآن. من دونك، كنت مثل صدفة فارغة.»

كان يهز رأسه حين تابع: «سيرينا، الحياة لا تستحق ان نحياها دون وجود شخص نحتاج إليه وهو يحتاج إلينا بالمقابل. لقد أدركت فجأة أنني أريدك زوجة لي أكثر من

أي شيء آخر في هذا العالم. ان انجب منك طفلاً. لأنني أعرف ان العلاقة الحقيقية ستكون معك، ستكون مشاركة، لا أن يأخذ شخص بينما الآخر يعطي. أنت، يا عزيزتي كل ما أريده وكل ما أحتاج إليه، إنك كل شيء!»

ضغط على يدها وقال بالحاح: «قولي إنك ما زلت تحبينني! قولي إنك تريدين إنجاب طفلي!»

قالت بعينين حالمتين: «ما زلت أحبك يا آرون... أريد الزواج منك...»

قال: «أعتقد انه من الأفضل البدء منذ البداية.»

أخذت تخبره بكل شيء، ليس فقط منذ بداية صداقتهما، بل بكل شيء ألم بحياتها منذ أن بدأت تصبح شابة. أخبرته عما دعاها لمغادرة المنزل، عن سنواتها الطويلة التي قضتها بمفردها في كوينزلاند، وأخيراً عن بول. لقد دهش آرون بوضوح عندما علم أن أول صداقة فعلية لها كانت مع بول، لكنه لم يتقبل الوضع دون طرح الأسئلة، ثم اظهر رضاه عندما أضافت بأنه أي آرون، كان اول رجل أحبته، الرجل الذي اسعدها كثيراً.

مع سرد كل ذلك رأت ان حب آرون لها قد نما وازهر كالحب الحقيقي الذي ينمو في ظل الثقة والتفاهم، ونظر إليها نظرات جديدة مليئة بتقدير جديد، وبدرجة كبيرة من الإحترام.

«اتعنين أنك تركتني لأنك أعتقدت بأنني لن أتزوجك، وانك كنت مستعدة للتضحية بسعادتك لأجلي؟»

شعرت بالخجل من نظراته المحبة وقالت: «بدا الشيء الوحيد الصحيح للقيام به. لقد اصر كرايغ على أنك لست مستعداً لتحمل اية مسؤولية.»

«كرايغ...» تنفس آرون بصوت مسموع. «سوف اقتله!»

قالت ملحة: «لكنه كان محقاً، يا آرون. أنت لم تكن قادراً على تقبل الوضع منذ ثلاثة شهور. على الأقل، الآن، بعد ان احببت وانتهيت من حبك السابق إذا جاز التعبير، أصبحت تعرف ما تريد حقاً من الحياة.»

اومأ برأسه موافقاً وقال: «صحيح، لكن عندما أفكر بكل ما مر بك... أرى أنه كان يجب أن أكون بجانبك، اعتني بك، أحبك. آه، يا سيرينا... هل يمكنك ان مسامحتي؟»

«كيف اسامحك على شيء لا علم لك به، يا آرون؟ أنا من يجب ان تطلب المسامحة. لقد آذيتك برحيلي عنك، مع أنني لم أقصد ولم أشأ ذلك. أعتقد ان ذلك كان نوعاً من القساوة تجاه اللطف.»

حدق فيها وقال: «لم أعرف أبداً امرأة مثلك. أنت حقاً مميزة.»

أنكرت كلامه قائلة: «آرون لقد قضيت بعض الليالي الرهيبة، افتقدك، اريدك. لطالما كرهت القرار الذي اتخذته، لقد كنت أشعر بالوحدة الموحشة من دونك.»

فقال: «لن تكوني وحيدة بعد الآن، يا عزيزتي، أبداً...»

امتلأ قلبها بهجة، وتلألأت الدموع في عينيها، ها ان القصص الخرافية تتحقق، أم هل هو ربما الحب قد انتصر في النهاية، حبها لرجل أحلامها؟

تلاشت تلك المشاعر عندما ابتسم آرون ابتسامة عريضة وهو يقول: «على الأقل فور أن أعود بك إلى البيت وأعلن زواجنا المرتقب سوف يرحبون بي في العائلة مجدداً، ان جيليان لا تتحدث إلي.»

«ماذا حدث؟» ركزت سيرينا اهتمامها، سعيدة لانها ما عادت تبكي، بل تعيش في لحظة فرح رائعة.

هز آرون كتفيه بحركة ساخرة وقال: «بعد رحيلك، كلما كنت أقوم بزيارة لهم تبدو وكأنني أزور مكان غير مأهول. المسكين جيرالد حاول ان يلعب دور الوسيط لكنه فشل فشلاً ذريعاً. أخيراً، الأسبوع الماضي، سألتها عما يغضبها، عندئذ أعلنت جيليان بأنني رجل فاسد لا استحق حب امرأة حسنة، وانني إذا لم أجدك واتزوج منك لن تكلمني طيلة حياتها. بالطبع، أخبرتها انه عليها ان تهتم بشؤونها الخاصة، وخرجت من المنزل. وغروري اقنعني بأنك لست سوى امرأة تافهة حمقاء لا يمكن الإعتماد عليها ولا تستحق ان يجري احد وراءها.»

خبأت ضحكته الكثير من الذكريات المؤلمة حين تابع: «قلت في نفسي بأن هذا هراء! ثم منذ ليلتين تم عرض فيلم خارج افريقيا على شاشة التلفاز. قررت ألا أشاهده، انني لن أقوم بأي شيء يذكرني بك، لكن كريستين اصرت على مشاهدته. وبعد لحظات كنت جالساً، أشاهد مصرع البطل للمرة الثانية. فخطر لي انني قد أموت في الغد من دون ان أخبرك بأنني أحبك، من دون أن أضمك بين ذراعي، فقررت حينذاك ألا أدع ذلك يحدث. لذلك قصدت رؤية شقيقك، وها أنذا هنا!»

«آه، يا آرون...»

نظر إليها، وعلى شفتيه ابتسامة تعجب رقيقة وتمتم قائلاً: «سننجب طفلا، فأنت تعلمين ان كريستين سوف تبتهج كثيراً فهي لطالما أرادت شقيقاً أو شقيقة لها.»

بحثت نظراتها عن تأكيد اخير في نظرته. «هل تشعر ان الوضع يناسبك يا آرون؟ اعني الزواج... ثم انجاب طفل في نهاية الأمر...»

وضع أصبعاً فوق شفتيها وقال: «انني سعيد ومبتهج. ولا أفكر الا بالزواج منك في أسرع وقت ممكن.»

ترقرقت الدموع في عينيها من جديد وهي تقول: «آه، يا عزيزي... يا لها من صورة رائعة للتفكير بهذا الموضوع.»

نادى ريكس من وراء الطاولة الكبيرة: «هاي! سيرينا! ذلك الرجل لا يتشاجر معك، أليس كذلك؟»

رفعت نظرها وابتسمت قائلة: «هذا الرجل يا ريكس، سيكون الزوج المرتقب، وكلا إنه لا يتشاجر معي.»

«زوج؟» تأوه عامل الفندق. «آه، لا، لا تخبريني بأنك ستتركين العمل!»

وقف آرون وساعد سيرينا على الوقوف. ونادى قائلاً: «هذا ما يجب ان تخشاه يا صديقي، ومنذ هذه اللحظة!»

«هاي، ولكن...»

تناول آرون محفظته ورمى بمئتي دولار فوق الطاولة الكبيرة. وقال: «العصير على نفقتي.»

ثم قاد حبيبته سيرينا خارج الفندق إلى الشمس المشرقة حيث توقف لينظر إلى السماء الصافية الزرقاء.

«يوم عظيم من أجل السباق، أليس كذلك؟»

تعجبت سيرينا وسألت: «السباق؟ أي سباق؟»

ابتسم قائلاً: «السباق البشري.»

«آه، أنت!»

ضحكا معاً ثم سارا يداً بيد، والحب يعلو وجهيهما بشكل واضح. هذا الحب يمكن رؤيته في يوم الاحتفال بزفافهما، وفي اليوم الذي سينجبان فيه طفلاً.

بالنسبة لآرون... كلما نظر إلى زوجته الفائقة الجمال كان قلبه يرقص فرحاً ويتذكر ما قاله له كرايغ بإيجاز: «إنك رجل محظوظ، يا صديقي، رجل محظوظ جداً.»

تمت

www.elromancia.com